قِرَاءَةٌ رَاشِدَةٌ

لِكِتَابِ نَهْجُ البَلَاغَة

تأليف
عَبد الرَّحمَن بن عَبد اللَّه الجُمَيعَان

الطبعة الأولى
1426هـ - 2005م

تصــدير

إلى كل مؤمن بالله ورسوله ص.
إلى كل حر تفكك من أغلال التقليد.
إلى كل من يخاف أن يلقى الله حاملًا وزر من سبقوه.
إلى كل من يحب آل بيت النبي ص.
إلى كل شيعي يؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد عبدًا ورسولًا ص.. إلى كل هؤلاء أقدم هذه القراءة المتواضعة والمختلفة لنهج البلاغة.

شـــدة

4

المقدمة

عشت مع نهج البلاغة أزمانًا طويلة، أقرؤه وأسمر معه، وأقف مع صاحبه حيث وقف، وأسير معه حيث سار، أغضب لغضبه، وأثور لثورته، وأحزن لحزنه، وأفرح لفرحه.

ورأيت عليًّا خطيبًا يقذف حممًا بركانية على لسانه، كأنه ينذر جيشًا، لا. بل كأنه ينذر العالم أجمع، ورأيت علمًا مستفيضًا، وسيفًا مسنونًا، وفقهًا مبثوثًا، ولا غرو؛ فهو ربيب بيت النبوة، وراضع لبان الرسالة، عاش حياة كلها صخب وضوضاء، وحروب وجروح.. حياة مليئة بالجد والاجتهاد، والعمل المتواصل الذي لا يهدأ ولا يكلّ ولا يملّ، لم يفلّ له سنان، ولم تكسر لعنفوانه قناة.

عاش أجيالًا عدة في حياة واحدة، حياة طوت تجارب دهور متوارثة من الشرك والكفر والإيمان، ورأى النفاق، وشاهد تقاعس الأصدقاء، وتقلبت به الحياة حتى قيل له: «علي لا خبرة له بالحرب»، وحارب مرغمًا إخوانه في العقيدة والدين، ورأى تقلب الحياة بأهلها، وفعل الأهواء بأصحابها.. إنها حياة صاخبة لا تهدأ!

وبدأت أقلب صفحات هذا السفر الضخم، وأحس أنني أقلب حياة رجل عظيم، لا صفحات كتاب كبير!

ولكنني رأيت عجبًا!

فالرجــل يقــول كلامًــا، ثــم أرى ضــده ومناقضًا له فـي بعـض كتـب القـوم، فـوقفت أتأمل هذه الحياة طـويلًا، وطفقـت أعـبّ مـن كتبهم عبًّا، وأقرأ ما بين السطور، وأتوغل في القراءة؛ فازداد عجبي ولم يزل!

وأدركت أن الأمر بحاجة إلى قراءة متأنيـة لأقوال وأفعال هذا الرجل.

فقمـت أقـرأ هـذا السـفر بهـذه الحيـاة، واضطربت مرارًا، ثم أعدت القراءة بنفـس لا تهـدأ ولا تقنـع، حـتى أيقنـت أننـا بحاجـة إلـى قراءة راشدة تغوص في أعماق «النهـج»، ولا تخرج عن إطار التفكير عند الإمام!

ثـم قـرأت تـارة أخـرى، وأدون مـا أقـرؤه حـتى كتبـت بعـض مقـالات فـي «النهـج»، وناقشـت بعـض الأشـخاص فـي كـثير مـن المسائل، ولم تهـدأ نفسـي إلى شـيء، حـتى كانت القراءة التي اسـتبان لـي وجـه صـحتها، وهي هذه التي أنقلها اليوم أو بعضها.

فهذا الكـتيب الصـغير الـذي لـم يحـو كـل مشاهداتي وقراءاتي ولكنني أدفعـه للمطبعـة كـي يتسـنى للقـارئ العـادي الاطلاع عليـه وقراءته قراءة سريعة، ويكون سهلًا عليه دون تكلـف ولا تعـال، وابتعـدت قـدر الإمكـان عـن القضـايا الـتي قـد تكـون محـل جـدال عقيـم، وولجت إلى لب الموضـوع، وهـو: كيـف يجـب أن نفهم «النهج»؟!

وأيقنت أن الذي يقرأ بعقل منفتح لا بد أن يقترب كثيرًا من تفكير ومعتقد أهل السنة، أو تكون المسافة قريبة جدًا بيننا وبينه.

إنني على يقين بأن هذا هو الطريق الصائب والسليم الذي ينبغي الالتفات إليه، ولا طريق دونه للوصول إلى فهم سليم لأقوال هذا الإمام العظيم؛ الذي خذل من أصحابه قبل أعدائه!

أقول: هذا جهدي وهذا فهمي؛ لم أدّع فيه الكمال، وإن كنت أصبو إليه.

وإنني على أتم استعداد لتصويب خطأ بدر مني، أو سوء فهم لم أدركه، غير محتقب لإثم، ولا متعمد لسهو ولا خطأ.

وفقنا الله تعالى لإصابة الحق، وألهمنا الصواب في القول، والصدق في العمل.

ملاحظة: النسخة التي اعتمدتها هي مطبوعة محمد أبو الفضل إبراهيم، وشرح ابن أبي الحديد.

وكتبه

عبد الرحمن عبد الله الجميعان

المبحث الأول
الإمـــامـــــة

هناك من يعتقـد بـأن الإمامـة مـن أصـول الـدين، والبعـض يـرى أنهـا مـن ضـروريات المذهب، والجميع يعتقـد بالنصـية والتسلسـل من علي إلى المهدي ب، بنـص الرسـول ص، ونص كل إمام بالـذي بعـده! فكـل عمـل عنـد الأئمة إنما مبعثه الوحي لا إجتهـاد فيـه، ولهـذا نفوا الخطأ والاجتهاد عن الأئمة.

هــذا مــا قــالته كتبهــم فــي مصــادرها المختلفة، الجديدة والقديمة علـى حـد سـواء، ولكننا سنقابل نصوصًا لـعلي بن أبـي طـالب ا حول الإمامة والخلافة، قـد تعـارض أو تنسـف كلامهـــم، منهـــا مثلًا قـــوله: «أول الـــدين معرفتـه»[1]، فهـذا الكلام الصـادر عنـه يؤكـد حقيقة أن أهم مبدأ في الدين، وأعظـم شـيء فيه، والواجب علـى المكلـف معرفتـه والعلـم به، هو: معرفة الله تعالى وتوحيده.

ولا شك أن الكتـاب والسـنة يؤكـدان هـذا الأمر كـل التأكيـد، فليسـت معرفـة الإمـام أو الإمامة أهم شيء فـي الـدين، وحـتى تتكامـل الصورة علينا المضي في هذا الأمر مـع كتـاب النهج :

1() (شرح النهج) (1/72).

1- ففـي كلام لـعلي ا لـكميل بـن زيـاد النخعي، يؤكد أنه: «لا تخلـو الأرض مـن قـائم لله بحجـة، إمـا ظـاهرًا مشـهورًا، وإمـا خائفًـا مغمورًا، لئلا تبطل حجج اللـه وبينـاته»[1]، ثـم يقول: «أولئك الأقلون عددًا، والأعظمون عنـد الله قدرًا، يحفظ الله بهم حججه وبيناته، حتى يودعهـا نظراءهـم، ويزرعهـا فـي قلـوب أشـباههم...»، أفتـدري مـن هـؤلاء؟ إنهـم العلماء، لا كما يقولـون: إن الأئمـة هـم حجـج الله في أرضه!

ثم يكمل علي ا كلامه قائلًا: [أولئك خلفـاء اللـه فـي أرضـه والـدعاة إلـى دينـه.. آهٍ آهٍ.. شوقًا إلى رؤيتهم..]، فالعلماء هم الذين يثنـي عليهـم هـذا الصـحابي الجليـل، ويرفـع مـن مكانتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد!

فأين ذكر الأئمة في هذا الكلام المهم؟!

ثم نقول: إذا كان الإمـام يـأتي مـن النـص ومن قبـل اللـه تعـالى؛ فهـو لا حاجـة بـه إلـى التعلم؛ لأنه متعلـم مـن لـدن الحكيـم الخـبير، وهو ممّن يكلّم أو يوحى إليه، غير أنـه لا يـرى الملك كما تقول كتبهم، فـعلي بن أبي طـالب ا يقول: [من نصب نفسه إمامًا، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليـم غيـره، وليكـن تـأديبه بسـيرته قبـل تـأديبه بلسـانه، ومعلّـم نفسـه ومؤدبهـا أحـقّ بـالإجلال مـن معلّـم النـاس

---

1 () (18/347) (143).

ومؤدبهم][1].

مـاذا يعنـي بقـوله: [مـن نصـب نفسـه إمامًا]؟ وهل يسمى مغتصب الخلافـة إمامًـا؟ ثم هذا القول الصادر من علي ا، يؤكد عكـس ما تقوله كتبهم من لدنّيّـة العلـم عنـد الإمـام، فالإمام يجـب أن يتعلـم العلـم ويهـذب نفسـه ويربيها!

2- وفي كتاب من كتبه المهمـة جـاء فيـه: «أما بعد: فإن اللـه سـبحانه بعـث محمـدًا ص نذيرًا للعالمين، ومهيمنًا على المرسلين، فلمـا مضى صلى الله عليه وآلـه تنـازع المسـلمون الأمـر مـن بعـده؛ فـوالله مـا كـان يلقـى فـي روعي، ولا يخطر ببالي، أن العرب تزعـج هـذا الأمر مـن بعـده ص عـن أهـل بيتـه، ولا أنهـم منحّوه عني من بعـده، فمـا راعنـي إلا انثيـال النـاس علـى فلان يبـايعونه، فأمسـكت بيـدي حـتى رأيـت راجعـة النـاس قـد رجعـت عـن الإسلام، يدعون إلـى مَحـق ديـن محمـد ص ؛ فخشيت إن لم أنصـر الإسـلام وأهلـه أن أرى فيـه ثلمًـا أو هـدمًا، تكـون المصـيبة بـه علـيّ أعظم من فوت ولايتكم الـتي إنمـا هـي متـاع أيـام قلائـل، يـزول منهـا مـا كـان كمـا يـزول السراب، وكما يتقشّع السحاب، فنهضـت فـي تلــك الأحــداث حــتى زاح الباطــل وزهــق،

---

1 () (18/220) (71).

واطمأن الدين وتنهنه»[2].

هذا كتاب الخليفة علي ا إلـى أهـل مصـر، أرسله مع صاحبه مالك الأشتر لمـا ولاه إمـرة مصر، والكتاب يحفظ وتتناقله الرواة أكثر من الخطـب، والكلمـات الـتي قـد ينقلهـا البعـض بالمعنى دون اللفظ، أما الكتـاب فالخطـأ فيـه أقــل مــن الخطبــة بكــثير، وبطريــق الكتابــة والتدوين حوفظ على الكتاب والسـنة، المهـم في الأمر ما في هذا الكتاب من معان:

إنظر إلى كلماته:

أ- تنازع المسلمون الأمر من بعده...، ولم يقل: الكفار أو الذين ارتدوا بعـد وفـاته ص أو الفساق، وإنما سماهم «المسلمون».

ثم انظر إلى قوله: ولا يخطر ببالي... مـن بعده...، فماذا تلاحظ أيها القارئ الكريم؟

ب- أنه أولًا: ليس هنـاك نـص يسـتند إليـه فـي قضـيته «الخلافـة والإمامـة»؛ لأن الإمـام عليًـا ا لـم يـذكر هـذا النـص، وكيـف تناسـاه الناس، وهو أحوج ما يكون إليـه اليـوم، حيـث يوضح قضية مـن أخطـر القضـايا الـتي مـرت على الأمة وسببت لها فرقتها، وكـادت تصـدع حتى بالصدر الأول من الصحابة، فلما لم يذكر هذا النص؛ علم أنه لا نص يخدم هـذه القضـية الخطيرة.

جـ - ثم انظر إلى كلامه: «فمـا راعنـي إلا

2() (7/151) (62).

انثيـــال النـــاس علـــى فلان يبـــايعونه..»، و(انثيـالهم) تصـوير بليـغ وكلام عـال، فمعنـاه إسراعهم وانصبابهم إلى بيعة أبي بكر ا، وهذا مما يدل على أن الناس اختاروا أبا بكر، وهـم أفضـل النـاس بعـد الأنبيـاء، فلـم تكـن البيعـة رغمًا عنهم، ولم يكن السيف فـوق رءوسـهم، وإنما هو الاختيار الحـر، والرؤيـة الصـائبة مـن جماعة المسلمين.

د- ثم في: «فأمسكت.... هـدمًا»، ويعنـي المرتـدين ومـانعي الزكـاة الـذين حـاربهم الصديق بسيوف الصحابة؛ فليـس هـؤلاء كمـا يقال: إنهم الذين رفضوا بيعة أبي بكر ا، وإنما هم كما قال الإمام علي ا: «فرق رجعـت عـن الإسـلام»، لأنـه لا يمكـن أن يعنـي الصـديق والصـحابة؛ لأنـه كـان معهـم، وكـان وزيـرًا للخلفاء.

3- وفي وصية من وصاياه يقول: «هذا مـا أمر بـه عبـد اللـه علـي بـن أبـي طـالب أميـر المـؤمنين فـي مـاله. وإن لابنـي فاطمـة مـن صدقة عليّ مثل الذي لبنـي علـيّ، وإنـي إنمـا جعلت القيام بـذلك إلـى ابنـي فاطمـة ابتغـاء وجه الله، وقربة إلى رسول الله ص، وتكريمًا لحرمتـه، وتشـريفًا لوصـلته، ويشـترط علـى الذي..»[1].

---

1 () (15/146) (34).

نلاحظ ما يلي:

أ- لم يفرق في قضية الصدقة بين بنيه كلهم: لا الحسنين ولا غيرهم! هذا أولًا.

ب- أما الأمر الآخر المهم، فهو قوله: إنه جعل القيام لابني فاطمة، لا لنص في الولاية والإمامة، كلا. بل ابتغاء وجه الله.

أليس من الأولى أن يعتمد علي بن أبي طالب على النص في الولاية، وينشر هذا الأمر في هذه الوصية، ويعلم أصحابه أنه قرب ابني فاطمة لأجل نصوص الولاية والإمامة؟

وهذه وصية، والوصية تكون آخر ما ينطق به الرجل لأهل بيته، ويوضح فيها الأمور، ولا يجوز تأخير البيان عند كثير من الفقهاء خاصة في أمثال هذه القضايا، لأن عليًا ا لم يدر متى يأتيه الموت! حتى وإن علم بموته، فلم يكن ليؤخر البيان في قضية خطيرة مثل هذه.

4- قال الإمام علي ا:

«ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقًا افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضًا، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض، وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق: حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله ـ لكل على كل، فجعلها نظامًا لألفتهم، وعزًا لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه،

وأدى الـوالي إليهـا حقهـا؛ عـزّ الحـق بينهـم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معـالم العـدل، وجـرت علـى أذلالهـا السـنن، فصـلح بـذلك الزمـان، وطمـع فـي بقـاء الدولـة، ويئسـت مطامع الأعداء»[1].

أ- تأمل هذه الكلمات جيـدًا، فليسـت هـي من قبيل الكلام المغسـول عـن المعـاني، بـل إن هـذه الكلمـات فيهـا الـدواء الشـافي لمـن سأل عن مفهوم الخلافة والولايـة فـي تفكيـر علي بن أبـي طـالب ا، الـذي لـم ينطلـق مـن النص، لأنـه قـال: [فليسـت تصـلح الرعيـة إلا بصـلاح الـولاة، ولا تصـلح الـولاة إلا باسـتقامة الرعيــة] إن لهــذا معنــى واحــدًا محــددًا: أن الوالي أو الخليفة، أو المنّصب لحكـم النـاس، إنما هو إنسـان ليـس معصـومًا، لأن علـي بـن أبي طالب ربط صـلاح الـوالي بصـلاح رعيتـه، فلو كان النص كانت العصمة، فلا يكون للكلام معنى حينئذ، لأنه كان يجب أن يقـول: إن مـن ولاهم الله تعالى مـن آل محمـد، لا يمكـن أن يزيغوا مهما زاغت الرعية.

ب- ثم إنه بهذا النص يحدد أنه لا بد للناس من أمير[2]، ولا يهم من يكون هـذا الأميـر مـا دام صالحًا قائمًا بالعدل، يقيم حكم الله تعالى

---

1 () (11/91).

2 () (2/307) (40).

ويؤدي حقوق الناس.

5- وفي كلام له وجهه إلى طلحة والزبير ب بعد بيعته بالخلافة:

«لقد نقمتما يسيرًا، وأرجأتما كثيرًا، ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه! أم أي قسم استأثرت عليكما به! أو أي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه؟!

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله، وما وضح لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استنّ النبي ^ فاقتديته، فلم أحتج إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسوله الله ^ قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر»[1].

---

1 () (11/7) (198).

ولنا بعض الوقفات التي لا بد منها:

أ- هنا يقول الإمـام لــطلحة والزبيـر : [ألا تخبراني...] ولم يقل لهمـا: إنكمـا تعلمـان أن رسول الله ^ أخبر بتوليتي، ولم يورد أي أثــر حول الإمامـة واسـتحقاقه لهـا نصًا، وهـو هنـا يريد أن يحاججهما في هذا الأمر، فكان الأولى أن يخرج لهما النص حتى يقيم عليهما الحجـة، فإذ لم يكن شيء من ذلـك، علـم أنـه لا نـص في المسألة.

ب- ثم إذا كان هنـاك نـص فكيـف يتخلـف عنه الإمام، كان يجب أن يسارع في التصــدي لأمر الخلافة، لا أن يقول: [والله ما كانت لــي في الخلافة... غيركما]، فلـم يكـن منـه قبـول الخلافة إلا بعد دعوة الناس له وحمله عليها.

جـ - ثم هنا يضع لنا حقيقة ناصعة، وهي: أن المسلم والحـاكم علـى وجـه خـاص، عليـه النظـر فـي الكتـاب والسـنة، ولـم يقـل: رأي الأئمة وتشريعهم!

د- ثــم هــو يقــول: [فلــم أحتــج... عــن غيركمـا]، لـم يحتـج إلـى آراء الصـحابة، لأن عنده من نصوص الكتاب والسنة ما أغناه عن آراء الرجال، ولو وقع حكم لم يعلمه لاستشار المسـلمين، ممـا يـدل علـى نفـي العصـمة والإمامة عنه، ألا تراه قال: [ولو كان ذلك لــم أرغـب عنكمـا ولا عـن غيركمـا] أي: لـو وقـع شـــيء لا أعرفـــه فسأستشـــير النـــاس

وأستشيركما أيضًا، ولن أرغب عنكما!

هـ- ثم انظر إلى دعائه في ختـام الكلمـة، تدرك أن الرجل غير معصوم!

6- «أيها الناس؛ إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليـه، وأعلمهـم بـأمر اللـه فيـه، فـإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل.

ولعمري لئن كانت الإمامـة لا تنعقـد حـتى تحضرها عامة الناس؛ ما إلى ذلك من سـبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غـاب عنهـا؛ ثـم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار.

ألا وإني أقاتل رجلين، رجل ادعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه[1].

أريد من القارئ أن ينعـم النظـر فـي هـذا الكلام، مـا معنـى [أحـق النـاس بهـذا الأمـر أقواهم عليـه]؟ ويجـب أن نعلـم بـأن الخطبـة أمام حشود من الناس، (هذا الأمر) يعني أمـر الخلافة والإمامة والحكم، لـم يقـل: مـن نـصّ عليه، وهم الأئمة الأطهار آل بيت النبي ص.

ثم قال: [ولعمري... يختار] ماذا تجد؟ إنه يضع معالم الهدى للخلافة والشورى وانتخـاب الأميـر، فيحـدد أنـه ليـس المفـروض أن يبـايع جميع الناس، لأن ذلك متعذر، ولكن أهل الحل والعقد يحكمون على من غاب عنها، ثم يحـدد أنه ليس لمن شهد البيعة النكوص على عقبيه واستقالة بيعته، وليس لمن غاب أن يختار.

---

1 () (9/328) (174).

18

هل هناك نص أقوى وأكـثر جلاء فـي نفـي الإمامة والنص، كمفهوم من هذا النص؟

نخلـص مـن ذلـك كلـه إلـى أن الإمـام لـم يسـتخدم النـص فـي الإمامـة عنـد كلامـه مـع حــاجته إليــه؛ لأنــه توكيــد لأفعــاله وأقــواله وسلوكه، وإثبـات حججـه علـى الآخريـن، ممـا يدل على نفي هذا النص لديه!

المبحث الثاني
العصـمـــــــة

والعصمة من العقائد التي اعتنقها القـوم، وآمنوا بأن جميع الأئمة يتصفون بالعصمة منـذ قلامـة أظـافرهم، بـل منـذ ولادتهـم، وأنهـم يعلمون الغيـب، ولا يخطئـون فـي صـغيرة ولا كبيرة، هـذا مـا تنطـق بـه كتبهـم ومـا يعتقـده السـابقون واللاحقـون، ولا ينكـره أحـد منهـم اليوم.

ولكـن وردت بعـض كلمـات علـي ا، فيمـا نعتقد أنها منافية للعصمة.

1- يقول في دعاء له كان يردده كثيرًا[1]:

«الحمد للـه الـذي لـم يصـبح بـي ميتًـا ولا سقيمًا... ولا مأخوذًا بأسوأ عملي... ولا مرتـدًا عـن دينـي، ولا منكـرًا لربـي...، ولا ملتبسًـا عقلي، أصبحت عبدًا مملوكًا ظالمًا لنفسـي... اللهم إنـي أعـوذ بـك أن أفتقـر فـي غنـاك، أو أضـل فـي هـداك،... اللهـم إنّـا نعـوذ بـك أن نذهب مـن قولـك، أو أن نفتـن عـن دينـك، أو تتـابع بنـا أهواؤنـا دون الهـدى الـذي جـاء مـن عندك».

انظر إلـى هـذه الألفـاظ: [أسـوأ عملـي]، [ظالمًا لنفسي]، [أضـل فـي هـداك]، [نـذهب عـن قولـك]، [نفتـن عـن دينـك]، [تتـابع بنـا

---

1 () (11/84) (208).

20

أهواؤنـا..]، هـل هـذا دعـاء رجـل معصـوم لا يخطئ ولا يظلم نفسه، ولا يخشى أن تزل بـه قدم، أو ينحرف بعض الشيء عن المنهج؟

فإن كان الجواب نعم، فالإمام يدعو لغوًا، وحاشـاه ا، وإن كـان الجـواب لا، فالعصـمة منتفية ومرتفعة عنه! ثم هل المعصوم يخشى الضلال والهوى؟ وهنـاك مـن يقـول: إن اللـه طهرهـم وأعطـاهم الولايـة التكوينيـة! ولا يستقيم هذا مع كلام الإمام ا.

2- ثم المعصوم لا يحتاج إلـى رأي النـاس ما دام مسددًا مـن اللـه تعـالى، بـل إن هنـاك من ينفي مسألة الشورى، فهذا علي ا يقـول: «أعينوني بمناصحة خليّة مـن الغـش، سـليمة مـن الريـب، فـوالله إنـي لأولـى النـاس بالناس»[1] وهل يطلـب المعصـوم النصـيحة؟ وفـوق ذلـك يطلـب منهـم أن لا يغشـوه فـي مناصحة، لأنه بشر قد يخدع بمناصحة الآخرين والمتظاهرين بالخير، كما سترى لاحقًا.

3- ثم انظر إلى دعائه الفذّ ا، وهـو يسـأل الله بقوله: «احشرنا في زمرته، غير خزايا ولا نادمين، ولا نـاكبين ولا نـاكثين، ولا ضـالين ولا مضلين ولا مفتونين»[2].

مع أنه من العشرة المبشـرين بالجنـة، إلا

---

1 () (7/284) (117).

2 () (7/173).

أنه لم يتكل على هذا بل كان دائم الخوف من الله تعالى، فهو لا يأمن على نفسه الفتنة، لهذا يسأل الله تعالى الثبات في الأمر في هذا الدعاء.

4- ثم هو يقول لأصحابه: «فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب

غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى»[1].

أ- يطلب الإمام من أصحابه أن يناصحوه وينصحوه، ولا يبخلوا عليه بالمشورة، لأنه إنسان يخطئ ويصيب.

ب- انظر إلى قوله: [إني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي...] فهل أدلّ من هذا النصّ على عدم عصمته ا بأنه فوق أن يخطئ، إذ لا يأمن ذلك من نفسه، مما يدل على أنه ليس فوق البشر، لا خلقة طبيعية ولا عصمة إلهية.

جـ- ثم تأمل قوله: [أبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى].

---

1 () (11/102) (210).

22

5- وكتب عهدًا إلى بعض أصحابه جاء فـي آخره:

«وأنا أسأل اللـه بسـعة رحمتـه، وعظيـم قـدرته علـى إعطـاء كـل رغبـة، أن يـوفقني وإياك لما فيه رضاه، من الإقامـة علـى العـذر الواضح إليه وإلى خلقه، ومن حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمـام النعمـة، وتضـعيف الكرامـة، وأن يختـم لـي ولـك بالسعادة والشهادة، إنا إلى اللـه راغبـون، والسـلام علـى رسـول اللـه ص الطيـبين الطاهرين»[1].

وتأمـل أخـي القـارئ [وأن يختـم لـي ولك...]، فهو يدعو الله دعوة راغب راهـب، لا معصوم لا يخطئ، ولا إمام مـن الأئمـة الـذين جاء وصفهم في كثير من الكتب.

6- وفـي كتـاب أرسـله إلـى المنـذر بـن الجارود يقول فيه:[2]

«أما بعـد: فـإن صـلاح أبيـك غرّنـي منـك، وظننت أنك تتبع هديه، وتسـلك سـبيله، فـإذا أنـت فيمـا رقّـي إلـي عنـك لا تـدع لهـواك انقيادًا... ومـن كـان بصـفتك فليـس بأهـل أن يسدّ به ثغر».

---

1 () (17/117).

2 () (18/54) (71).

يدل هذا الكتاب دلالة لا وجه معها إلى أن عليًا أخطأت فراسته في هذا الرجل، وخدع لما رأى من هيئة الصلاح والوقار، وما ظن أنه لأبيه مشابه، ولاجتهاده تابع، فتخلفت فراسته، وخدعه عقله، وخدع كما يخدع أي إنسان مخلوق في هذه الحياة، لا إلهام ولا وحي ولا عصمة![1].

وقد كان يقول في دعائه إذا مدحه قوم في وجهه: «اللهم إنك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»[2].

ولنسأل: ما معنى [خيرًا مما يظنون]؟ وما هو الذي يطلب الإمام من ربه أن يغفره له؟!

ومثله هذا الدعاء العظيم:

«اللهم إني أعوذ بك من أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما أبطن لك سريرتي، محافظًا على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني، فأبدي للناس حسن ظاهري، وأفضي إليك بسوء عملي، تقربًا إلى عبادك وتباعدًا من مرضاتك»[3].

أرجو من القارئ أن يتأمل!

---

1 () (انظر (18/62) (73).

2 () (18/256) (196).

3 () (19/167).

24

ومثله: «ما أهمني أمر أمهلت بعده، حـتى أصلي ركعتين وأسأل الله العافية»[1].

أرجوك أخي القارئ! أن تتأمل هـذا الكلام وتنـزله منزلته من فعل الإمام، فالإمـام بشـر كسائر البشر، يهتم ويغتـم ولا يـدري مـا يـدار فـي هـذا الكـون؛ لأنـه لا يعلـم الغيـب، وقـد تتخبطه الأكدار؛ لأنه ليس معصومًا، ثم استمع إليه قائلًا لأصحابه: «وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعـــة، والنصـــيحة فـــي المشـــهد والمغيب..»[2]، فهل أدل مـن هـذه النصـوص على نفي العصمة عن هذا الصحابي الجليل؟! نعم هناك أقوى وأدلّ من كـل هـذه الكلمـات، وسنحاول بحثه بعد قليل.

7- الوصية:

وهذه وصـية مهمـة يوصـي بهـا علـيّ ابنـه الحسـن، ولأهميتهـا أرجأتهـا إلـى آخـر كلامـي حول العصمة، لأنها وصية إمـام لإمـام، ووالـد لابنـه، ومعصـوم لمعصـوم حسـب المفهـوم الإمـامي لمعنـى الإمامـة، ومـن مسـتلزماتها العصمة!

جاء في الوصية:

1- «مـن الوالـد الفـان، المقـر للزمـان، المسـتدبر العمـر، المستسـلم للـدهر، الـذامّ

---

1 () (19/205).

2 () (2/190).

للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الظاعن عنها غدًا.

إلى المولود المؤمّل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، ورهينة الأيام، ورميّة المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونصب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات»[1].

هذه هي مقدمة الوصية، وهي من أب إلى ابنه، فهي تحمل من الأهمية ما تحمله.

أ- انظر أيها القارئ الكريم! وتمعن في هذه الكلمات [إلى المولود المؤمل... وخليفة الأموات]، وهل يكون معصومًا من يسميه عليّ [عبد الدنيا]، و[تاجر الغرور].

ب- بل انظر إلى عباراته التي تنبئ عن رفض العصمة رفضًا قاطعًا، فهو يسميه [صريع الشهوات] كيف؟ أم أن الإمام يتكلم بما لا يدرك ولا يعي، ويلقي الكلام على عواهنه؟!

جـ- وإما أن يكونا معصومين، فأخطأ العبارة علي ا وقال: [صريع الشهوات]، أي تصرعه الشهوات فلا يكون معصومًا، أو أن يكون يدلس على سامعيه ومنهم الحسن، ويستخدم التقيّة ليخبرهم بأن إمامكم صريع

---

1 () (16/31).

26

الشــهوات، ولكــن فــي حقيقــة الأمــر أنــه معصوم!

إذن: لا بـد مـن التفكـر والتـدبر فـي هـذا الكلام، ولماذا قاله.

2- ثم يسترسل الإمام في وصية ابنه:

«أما بعد: فإن فيما تبينت من إدبار الـدنيا عني، وجموح الدهر عليّ، وإقبال الآخرة إليّ، ما يزعني عن ذكر من سـواي، والاهتمـام بمـا ورائي، غيـر أنـي حيـث تفـرّد بـي دون همـوم الناس همّ نفسـي، فصـدّقني رأيـي وصـرفني عن هواي، وصرّح لي محـض أمـري، فأفضـى بـي إلـى جـدّ لا يكـون فيـه لعـب، وصـدق لا يشوبه كذب، وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حـتى كـأن شـيئًا لـو أصـابك أصـابني، وكـأن الموت لو أتاك أتـاني، فعنـاني مـن أمـرك مـا يعنيني من أمر نفسي، فكتبت إليك كتابي هذا مستظهرًا به إن أنا بقيت لك أو فنيت»[1].

تأمـل جيـدًا قـوله: «غيـر أنـي حيـث... فصدقني رأيي، وصرفني عـن هـواي، وصـرّح لي محض أمري...» انظر إلى الكلمـات: هـمّ نفسي، رأيي، هواي، محض أمري....

وهل للمعصوم هوى حتى يمضـي بـه فـي كل الاتجاهات؟

3- «فإني أوصيك بتقـوى اللـه- أي بنـيّ- ولزوم أمرهَ، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصـام

---

1 () (57).

بحبله، وأي سبب أوثق من سـبب بينـك وبيـن الله، إن أنت أخذت به.

أحـي قلبـك بالموعظـة، وأمتـه بالزهـادة، وقوّه بـاليقين، ونـوّره بالحكمـة، وذلّلـه بـذكر الموت، وقـرّره بالفنـاء، وبـره بفجـائع الـدنيا، وحذّره صـولة الـدهر، وفحـش تقلـب الليـالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضـين، وذكّـره بما أصاب من كان قبلك من الأولين.

وسـر فـي ديـارهم وآثـارهم، فـانظر فيمـا فعلوا؟ وعمّا انتقلوا؟ وأين حلّوا ونزلوا؟ فإنـك تجدهم انتقلوا عن الأحبـة، وحلّـوا دار الغربـة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم.

فأصلح مثواك، ولا تَبِع آخرتك بـدنياك، ودع القـول فيمـا لا تعـرف، والخطـاب فيمـا لـم تكلّف، وأمسك عن طريـق إذا خفـت ضـلالته، فإن الكفّ عند حيرة الضلال خيـر مـن ركـوب الأهوال»[1].

ولنا أن نقف هنا بعض الوقت نتريث:

أ- لماذا يوصي المعصوم معصومًا آخر بما هو متأكد من عمله؟ وأعني لماذا يوصي علـي الحسن بتقوى الله، ولزوم أوامره، ثـم يـأمره بإحياء قلبه بالموعظة؟

أو ليس المعصوم على وتيرة واحـدة فـي سـلوكه لا يزيـغ ولا يضـل ولا تتجـارى بـه الأهواء؟...

---

1 () (62-63).

28

ب- ثم انظر وتدبر الفقرة الأخيرة، بقوله: [فأصلح مثواك... الأهوال]، النهي عن بيع الآخرة بالدنيا، وأن يدع القول بما لا يعرف، وكيف يكون إمامًا لا يعرف؟

أدع القارئ المنصف يتأمل هذه الوصية ويتدبرها!

4- «وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

وخض الغمرات إلى الحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعوِّد نفسك الصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبّر في الحق!

وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز.

وأخلص في المسألة لربك، فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة، وتفهّم وصيتي، ولا تذهبنّ عنك صفحًا، فإن خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه»[1].

ما أصفى وأنقى وأرفع هذا الكلام!

إنها ليست وصية؛ إنها منهاج يكتب بماء الذهب لمسلمة اليوم كافة، ولمن تدبره وفقهه حق الفقه، ثم انظر إلى ألفاظه: [تفقّه في الدين]، وهذا ينفي العلم اللدنّي الذي عند

---

1 () (64).

الأئمة: [عود نفسك الصبر على المكروه] أي: درّبها على هذا الخلق الجميل، وهل معصوم يدرّب نفسه على ذلك، أم أنها الفطرة التي فطر عليها، ثم: [أكثر الاستخارة] إذا كان معصومًا لا يخطئ في طريقه، فما حاجته إلى الاستخارة وهو المسدد المؤيد؟

ثم قال:

5- «ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة، ونفس صافية، وأن أبتدءك بتعليم كتاب الله عزّ وجلّ وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له، أحبَّ إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك، وأن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيتي هذه»[1].

أ- ماذا يعني [ذو نية سليمة]؟ وهل تتغير نيات المعصوم حتى ينعته بأنه [كان ذا نية سليمة ونفس صافية]؟

ب- ثم لماذا يعلمه أبوه ويبتدؤه بكتاب الله عز وجل، ما دام الإمام لا يعلّم الكتاب،

1() (68).

ويكـون حافظًـا مسـتوعبًا للعلـوم كلهـا، هـل المعصوم بحاجة إلى معلم؟!

جـ- ثم تأمل [أشفقت أن...]كيـف يلتبـس هذا الأمر الذي يختلف فيه الناس؛ علـى إمـام منصـوب بـالنص، معصـوم عـن الأهـواء والأخطاء؟

ثم انظر إلى قـوله: «ورجـوت أن يوفقـك اللـه...» تجـدها ملأى بالمعـاني الإنسـانية البشرية لأب يعتصر قلبـه ألمًـا وحزنًـا وخوفًـا على ابنه!

6- «واعلم يا بُنيّ! أن أحبّ ما أنـت آخـذ به من وصيتي تقوى الله، والاقتصـار علـى مـا فرضـه اللـه عليـك، والأخـذ بمـا مضـى عليـه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتـك، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسـهم كمـا أنـت ناظر، وفكروا كما أنت مفكّر، ثـمّ ردّهـم آخـر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عمـا لـم يكلّفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كمـا علمـوا، فليكـن طلبـك ذلـك بتفهّـم وتعلّم، لا بتورّط الشبهات وعلق الخصومات.

وابـدأ قبـل نظـرك فـي ذلـك بالاسـتعانة بإلهك، والرغبة إليـه في توفيقـك، وتـرك كل شـائبة أولجتـك فـي شـبهة، أو أسـلمتك إلـى ضلالة، فإن أيقنت أن قد صـفا قلبـك فخشـع، وتمّ رأيكَ فاجتمع، وكان همّـك فـي ذلـك همًّـا واحدًا، فانظر فيما فسّرت لك.

وإن أنـت لـم يجتمـع لـك مـا تحـب مـن نفسك، وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنك إنما تخبط خبط العشواء، وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خبط أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل»[1].

أ- تأمل أخي المنصف والقارئ الناقـد.. ذا القلب الحصيف، في هذه الكلمات: أن الإمـام يأمر ابنه بالاقتصار علـى الفرائـض، والاقتـداء بالسابقين الصالحين، ثم يخبره أن الأمر نظـر وتفكـر وتـدبر، لا إلهـام أو وحـي أو عصـمة أو تسديد دائم، ثم ينهاه أن يكون طريقه بتـورط الشبهات، ولكن بتفهم وتدبر.

ب- ثم انظر الفقرة الثانية: [أولجتـك فـي شبهة]، أي: أدخلتك في شبهة، والشـبهة هـي التي لا يتبين صوابها من خطئهـا، وحلالهـا مـن حرامها، وهـل المعصـوم يقـع فـي الشـبهات؟ وتتخبطه الأهواء والأمـور كغيـره مـن النـاس؟ وإلا ما معنى كلام الأب هذا لابنه؟!

جـ- ثم تدبر آخر فقرة [فاعلم أنك إنما...] وزنها بعقلك، وتبصّـر بهـا، واعقـل هـذا الكلام الرفيع عن هذا الرجل العظيم.

ثم قال:

7- «فتفهّـم يـا بُنـيّ! وصـيّتي، واعلـم أن مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هـو المميت، وأن المفني هو المعيد، وأن المبتلـي هو المعـافي، وأن الـدنيا لـم تكـن لتسـتقرّ إلا

---

1 () (71-70).

32

على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد، أو ما شاء مما لا تعلم، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك، فإنك أول ما خلقت به جاهلًا ثم علّمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحيّر فيه رأيك، ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك!»[1].

في هذا النص الجلي والواضح عدة مسائل:

أ- طلب الإمام ابنه ليتفهم الوصية، وفي هذا معنى طلب التركيز والوعي والاستماع والتنبه إلى القائل وإلى المقول.

ب- تأمل هذه الألفاظ واقرأ معانيها بعقل وذهن، وعينين منفتحين، ولا تغمض عينك طلبًا للتقليد، فالحسن ا لا يعلم كل شيء، وإنما هناك أمور لم يعرفها فيتعلمها من غيره: [فإن أشكل عليك شيء] معناه ماذا؟ معناه أن هناك أمورًا ستشكل عليه ولا يعرفها.

جـ- يعلمنا الإمام بأن الحسن ولد جاهلًا كخلق الله أجمعين، ثم علم، وتدرج بالتعلم.

د- نفي العصمة نفيًا قاطعًا لا لبس فيه بهذه الكلمات: [وما أكثر ما تجهل].

هـ- أدع القارئ يتأمل هذا القول السديد من هذا الرجل المشفق على ولده، انظر إلى كلامه: [مما لا تعلم...]، [فإن أشكل

---

1 () (74).

عليك...]، [فإنك أول ما خلقت به جاهلًا ثم علّمت...]، [وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك، ويضلّ فيه بصرك...].

كن منصفًا أيها القارئ! ثم كن ذا عقل لمّاح، وتفكير ناقد، وإنما يؤتى المرء من شبهاته وشهواته، ولا يكن التقليد لك طريقًا.. بل انبذه وانطلق؛ لأن الله وهب لنا العقول لنتفكر ونتدبر، لا لنقلد وننكفئ على من سبقنا!

8- وقال أيضًا:

«فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك، فليكن له تعبّدك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك.

واعلم يا بنيّ! أن أحدًا لم ينبئ عن الله ـ، كما أنبأ عليه نبينا ص، فارض به رائدًا، وإلى النجاة قائدًا، فإني لم آلك نصيحة، وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك»[1].

انظر إلى قوله [فارض به رائدًا] وكفى!

9- «واعلم يا بنيّ! أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبدًا ولم يزل، أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية، عظم أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر.

فإذا عرفت ذلك، فافعل كما ينبغي لمثلك

---

1 () (76).

34

أن يفعلـه فـي صـغر خطـره، وقلّـة مقـدرته، وكـثرة عجـزه، وعظيـم حـاجته إلـى ربـه فـي طلب طاعته، والرهبة مـن عقـوبته، والخشـية من عقوبته، والشـفقة مـن سـخطه فـإنه لـم يأمرك إلا بحسن، و لم ينهك إلا عن قبيح»[1].

إنّ خوف علي بن أبي طالب ا على ابنـه ذهب به بعيدًا، فقام يذكره بالأوليات والمبادئ التي أول ما يتعلمها المسلم من وحدانية اللـه تعالى، ثم قال له: [فـإذا عرفـت ذلـك]، وهـل المعصوم تعزب عنه أمثال هـذه القضـايا، إمـا أن يكـون الحسـن ا بحاجـة إلـى هـذا التـذكير كإنسان مثل كل الأناسيّ، وإما أنّ كلام الإمام لغو لا فائدة فيه، وحاشاه ا.

10- «يا بنيّ! اجعـل نفسـك ميزانًـا فيمـا بينـك وبيـن غيـرك، فـأحبب لغيـرك مـا تحـب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلِـم كمـا لا تحــب أن تُظلــم، وأحســن كمــا تحــبّ أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بمـا ترضـاه لهـم من نفسـك، ولا تقـل مـا لا تعلـم وإن قـلّ مـا تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك.

واعلـم أن الإعجـاب ضـدّ الصـواب، وآفـة الألبـاب، فاسـع فـي كـدحك، ولا تكـن خازنًـا لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك، فكـن أخشـع

---

1 () (77).

ما تكون لربك»[1].

أريد منك أن تقرأ: [ولا تظلم كما لا تحـب أن تظلـم... ولا تقـل مـا لا تعلـم] هـل نحـن بحاجة أي مزيد بيان؟

11- «واعلم أن أمامك طريقًا ذا مسـافة بعيدة، ومشقّة شديدة، وأنـه لا غنـى لـك فيـه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الـزاد، مـع خفـة الظهـر، فلا تحملـن علـى ظهـرك فـوق طاقتـك، فيكـون ثقـل ذلـك وبـالًا عليـك، وإذا وجدت من أهل الفاقـة مـن يحمـل لـك زادك إلى يوم القيامة، فيوافيك به غدًا حيـث تحتـاج إليه فاغتنمه وحمّلـه إيـاه، وأكـثر مـن تزويـده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده.

واغتنـم مـن استقرضـك فـي حـال غنـاك، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

واعلم أن أمامك عقبة كئودًا، المخفّ فيها أحسن حالًا من المثقل، والمبطئ عليهـا أقبـح أمرًا من المسرع، وأن مهبطهـا بـك لا محالـة إما على جنة أو على نار، فارتـد لنفسـك قبـل نَزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعتب، ولا إلى الدنيا منصرف»[2].

أرجو أن تتدبر الفقرة الأخيـرة [واعلـم أن أمامك...] ماذا تجد؟ يقول الإمام لابنه الحسن ا: [اعمــل ليكــون مصــيرك الجنــة!] وهــل

---

1 () (84).

2 () (85).

المعصوم بحاجة إلى هذا؟

قـال: «فلـرب أمـر قـد طلبتـه فيـه هلاك دينك لـو أوتيتـه...»[1] كيـف يسـأل المعصـوم ربه شيئًا فيه هلاك دينـه؟ هـل يمكـن ذلـك أن يكون؟

12- «واعلم يا بني! أنك خلقت للآخرة لا للدنيا، فكن منه -الموت- على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة، قد كنت تحـدّث نفسـك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنـت قد أهلكت نفسك...»[2].

هل يكون المؤمن المسلم على حال سيئة عند الموت فضلًا عـن المعصـوم؟! وإلا لمـاذا يحذره الإمام هذا التحـذير، أتـراه لا معنـى لـه ولا فائدة تنطوي تحته؟!

13- وكان مما قال في الوصية:

«من أكثر أهجر، ومن تفكر أبصر.

قارن أهل الخيـر تكـن منهـم، وبـاين أهـل الشر تبن عنهم.

بئـس الطعـام الحـرام، وظلـم الضـعيف أفحش الظلم!

إذا كان الرفق خرقًا، كان الخرق رفقًا.

ربما كـان الـدواء داءً، والـداء دواءً، وربمـا نصح غير الناصح، وغش المستنصح.

---

1 () (87).

2 () (89).

وإياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جرّبت ما وعظك، بادر الفرصة، قبل أن تكون غصّة، ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يثوب، ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد، ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قدر لك.

التاجر مخاطر، ورب يسير أنمى من كثير!»[1].

انظر إلى كلامه: [قارن أهل الخير...]، كن من أقرانهم وصاحبهم، ثم انظر: [وإياك والاتكال على المنى...] يحذره أن يكون من أصحاب الأماني الذين يتمنون على الله الأماني، ويتكلون عليها دون عمل، ثم انظر قوله: خير ما جربت ما وعظك...]، و[بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة...].

لا يمكن أن يصدر هذا الكلام إلى معصوم يعرف تكليفه الشرعي، ولا ينسى، وعلمه رباني!

14- «لا تتخذن عدو صديقك صديقًا فتعادي صديقك، وامحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة، وتجرع الغيظ؛ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة، ولا ألذ مغبة، ولِن لمن غالظك؛ فإنه يوشك أن يلين لك، وخذ على عدوّك بالفضل، فإنه أحد الظفرين، وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك

1() (97).

38

بقية يرجع إليها إن بدا ذلك له يومًا ما، ومن ظنّ بك خيرًا فصدّق ظنه، ولا تضيعنَ حق أخيك اتكالًا على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك، ولا ترغبنّ فيمن زهد عنك، ولا يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا يكبرنَّ عليك ظلم من ظلمك، فإنه يسعى في مضرّته ونفعك، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه»[1].

ثم استمر في النصيح قائلًا:

«استدلّ على ما لم يكن بما قد كان، فإن الأمور أشباه، ولا تكوننّ ممن لا تنفعه العظة إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتّعظ بالآداب، والبهائم لا تتّعظ إلا بالضرب.

اطرح عنك واردات الهموم، بعزائم الصبر وحسن اليقين.

من ترك القصد جار، والصاحب مناسب، والصديق من صدق غيبه، والهوى شريك العمى، وربّ بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد، والغريب من لم يكن له حبيب.

من تعدى الحق ضاق مذهبه، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه، ومن لم يبالك فهو عدوّك.

---

1 () (105).

قد يكون اليـأس إدراكًـا إذا كـان الطمـع هلاكًا.

ليـس كـل عـورة تظهـر، ولا كـل فرصـة تصاب، وربمـا أخطـأ البصـير قصـده، وأصـاب الأعمى رشده.

أخّــر الشــرّ، فإنــك إذا شــئت تعجلتــه، وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

من أمن الزمان خانه، ومن أعظمه أهانه.

ليس كلّ من رمى أصاب.

إذا تغير السلطان، تغيّر الزمان.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجـار قبل الدار»[1].

تؤكد لنا هذه النصيحة العظيمة، بما لا يدع مجالًا للشـك والطعـن برفـع العصـمة والعلـم اللـدنّي عـن الأئمـة، وأنهـم لا يحملـون نصًـا يفردهم عن بقيـة العبـاد، وأنهـم بشـر كسـائر البشر، ينسون ويخطئون، ويجهلون ويشكون، وقد يخدعون عن عقولهم.

---

1 () (113).

40

المبحث الثالث
الصحـابـــــة

الصحابة عندهم إما كفار خارجون عن الإسلام، وإما فساق خالفوا أمر الرسول ص عمدًا على عين! ولهذا فالكثيرون منهم يلعنونهم ويسبونهم، ويخصّون بالسبّ واللعن أو التبري الخلفاء الثلاثة، وعائشة ومعاوية ي، وينسبون إلى الأئمة أحاديث وأقوالًا تطعن بالصحابة وتنقص من مكانتهم ويتهمونهم أشنع التهم.

وبالنظر إلى كلام الإمام في نهج البلاغة نرى منطقًا آخر، وتوجهًا مخالفًا كل المخالفة لما يدور على ألسنتهم.

وسنتكلم في هذا المبحث عن الصحابة، ونرجئ الكلام عن معاوية وأهل الشام إلى مبحث آخر.

1- قال الإمام علي واصفًا الرسول ص مع أصحابه في القتال:

«وكان رسول الله ص إذا احمرّ الباس، وأحجم الناس، قدّم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف والأسنّة»[1].

فهل الرسول ص يقي أناسًا فسّاقًا أو كفارًا، بأعزّ ما لديه وهم أهل بيته؟

---

1 () (14/47) (9).

ثم أحبّ أن تتدبر هـذه الكلمـات القليلـة التي قالها الإمام، وتتفكـر فيهـا، وتنظـر لمـاذا قال الإمام هذا الكلام؟ أهي التقيّة كما يـدّعي البعض، أم أن هناك أمرًا آخر؟

2- قال مرة كلامًا حول البيعة هذا نصه:

«إنه بـايعني القـوم الـذين بـايعوا أبـا بكـر وعمر وعثمـان علـى مـا بـايعوهم عليـه، فلـم يكـن للشـاهد أن يختـار، ولا للغـائب أن يـردّ، وإنمـا الشـورى للمهـاجرين والأنصـار، فـإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإن خـرج عـن أمرهـم خـارج بطعـن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبـى قـاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»[1].

إنه نـص ثميـن، ذو قيمـة عاليـة فـي فهـم الأمـور فـي قضـية الشـورى والبيعـة، وإليـك بعض الملاحظات المهمة في هذا الأمر:

أ- أريد منك أن تقف طـويلًا أمـام [بـايعني القوم...] وتتساءل لماذا قال الإمام: إنّ هؤلاء القوم الذين بايعوا الخلفاء السابقين هـم مـن بـايعني؟ ولمـاذا يحـدد هـؤلاء النـاس فـي البيعـتين؟ أوليـس هنـاك أمـر مهـم جـدًا يريـد الإمام توضيحه؟ فأولئك المبـايعون لـم يخـرج أحد منهـم علـى الخلفـاء بطعـن أو بدعـة، ولا شيء آخر؛ فهكذا أنا بويعت!

---

1 () (14/35) (6).

42

ب- ثم لو افترضنا أن عليًا ا إنما يريد أن يلزم خصمه بالحجة، فيقول: إن هؤلاء بايعوني كما بايعوا السابقين، فتلزمك الحجة بالمبايعة، لو سلمنا جدلًا بصحة هذا الادعاء، فأين نذهب بكلمة: [إنما الشورى للمهاجرين والأنصار]؟

والإمام يتكلم بلغة العرب، ونحن نعرف ماذا تؤدي: (إنما) التي تفيد القصر والحصر، كما قال تعالى: * □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□ & [الحجرات:10]، ومن يدخل في زمرتهم، فهو ليس أخًا لهم..! وكذلك هذه: [أي لا تكون الشورى في البيعة والاختيار إلا للمهاجرين والأنصار]، فهذا مدح لهم أولًا؛ لأنهم أهل لهذه الشورى عن أمة محمد ص.

ب- ثم انظر إلى قوله: [فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضًا..]، فهؤلاء إذا اجتمعوا على رجل خليفة لهم سيكون ذلك رضًا لله تعالى، أيّ مدح أكبر من ذلك لهم؟! فما اتفقوا عليه رضي الله تعالى عنه!

د- ثم انظر إلى: [فإن خرج...] وتأمل كلماته جيدًا، ثم لاحظ كلمة الإمام: [... فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين...]، وما هو سبيل المؤمنين غير سبيل ومنهج المهاجرين والأنصار، أي: أصحاب النبي ص؟

3- وفي كتاب له لـمعاوية يقول فيه:

«ألا ترى -غير مخبر لك، ولكن بنعمة اللـه أحدث- أن قومًـا استشـهدوا فـي سـبيل اللـه تعالى من المهاجرين والأنصـار، ولكـلّ فضـل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشـهداء، وخصّه رسـول اللـه ص بسـبعين تكـبيرة عنـد صلاته عليه!»[1].

مـاذا تجـد فـي هـذا الكتـاب، إنـه مـدح وتعظيم لهؤلاء النفر مـن أصـحاب النـبي ص: [ولكلّ فضل].

رحمك الله أبا الحسن! كنت تنزل الناس منازلها. وفي كتاب آخـر يقـول فيـه: «وذهـب المهاجرون الأولون بفضلهم...»[2].

4- وقـال مـرة فـي وصـف شـدة قتـال أصحاب النبي ص:

«لقد كنّا مع رسـول اللـه ص نقتـل آباءنـا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنـا، مـا يزيـدنا ذلـك إلا إيمانًـا وتسـليمًا، ومضـيًّا علـى اللقـم، وصـبرًا على مضض الألم، وجدًّا في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منـا والآخـر مـن عـدونا يتصـاولان تصـاول الفحليـن، يتخالسـان أنفسـهما، أيهمـا يسقي صـاحبه كـأس المنـون، فمـرة لنـا مـن عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأى اللـه صـدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصـر، حـتى

---

1 () (15/181) (28).

2 () (15/117) (17).

44

استقرّ الإسلام ملقيًا جرانه، ومتبوئًا أوطانه.

ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمـود، ومـا اخضـرّ للإيمـان عـود، وايـم اللـه لتحتلبنّها دمًا، ولتتبعنّها ندمًا!»[1].

مَنْ هؤلاء الذين كـانوا يقـاتلون مـع النـبي ص ولم يسمهم عليّ ا؟ أوليسـوا هـم معظـم الصحابة الذين نصروا الإسلام وعززوا مكانته، ونصروا رسوله ص؟

أين هذا من كلام الـذين يتهمـون الصـحابة بعدم نصرة الـدين والنـبي ص، وادعـائهم بـأن الإمام فقط هو من نصر النبي ص؟

5- وفي كلام له يخاطب أصـحابه الـذين معه يقاتلون، قال موبخًا لهم، ومتذكرًا ما كان من السابقين من الصحابة:

«أيــن القــوم الــذين دعــوا إلــى الإسـلام فقبلوه، وقرءوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهـاد فولهـوا لـه وَلَـه اللقـاح إلـى أولادهـا، وسـلبوا السـيوف أغمادهـا، وأخـذوا بـأطراف الأرض زحفًا زحفًـا، وصـفًا صـفًا، بعـض هلـك، وبعـض نجـا، لا يبشّـرون بالأحيـاء، ولا يعـزّون على الموتى، مُره العيون مـن البكـاء، خمـص البطون من الصيام، ذبل الشفاه مـن الـدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجـوههم غـبرة الخاشعين؟! أولئك إخواني الذاهبون، فحقّ لنا

---

1 () (4/33) (55).

أن نظمـــأ إليهـــم، ونعـــضّ الأيـــدي علـــى فراقهم!»[1].

من هؤلاء القوم الذين عناهم عليّ ا؟ وهم جمع وكثرة لا تحصى، ومنهم أموات ومنهم أحياء، هل هم من قال أولئك إن الصحابة جميعهم ارتدوا إلاّ أربعة، فهل هم هؤلاء الأربعة، أم أنهم جميع أصحاب النبي ^؟

إن المنصف المحبّ للإمام عليّ ا لا يمكن إلا أن يقرّ بأن هؤلاء هم أصحاب النبي ص.

6- ومن كلام له ا قاله للخوارج، سأذكره دون تعليق:

«فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت، فَلِمَ تضللون عامة أمة محمد ص بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفّرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب، وقد علمتم أن رسول الله ص رجم الزاني المحصن، ثم صلى عليه، ثم ورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله ص بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءَهم من بين أهله.

ثمّ أنتم شرار الناس، ومن رمى به

---

1 () (7/291) (120).

46

الشيطان مراميه، وضرب به تيهه.

وسيهلك فيّ صنفان: محبّ مفرط يـذهب بـه الحـب إلـى غيـر الحـقّ، ومبغـض مفـرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، وخيـر النـاس فـيّ حـالًا النمـط الأوسـط، فـالزموه والزمـوا السواد الأعظم، فإن يـد اللـه علـى الجماعـة، وإياكم والفرقة»[1].

7- وجاء في الكتاب من خطبة لـه × فـي شأن الحكمين وذمّ أهل الشام :

«جفاة طغام، عبيد أقزام، جمعوا من كـل أرب، وتلقطوا من كل شوب، ممن ينبغـي أن يفقـه ويـؤدّب، ويعلّـم ويـدرب، ويـولّى عليـه، ويؤخـذ علـى يـديه، ليسـوا مـن المهـاجرين والأنصـار، ولا مـن الـذين تبـوءوا الـدار والإيمان»[2].

ينفـي أن يكـون هـؤلاء مـن المهـاجرين والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمـان، أوليـس هذا مدحًا للمهاجرين والأنصار الـذين نفـى أن يكون هؤلاء الجفاة الطغام منهم؟!

ثـم يقـول عـن الأنصـار: «هـم واللـه ربّـوا الإسلام كمـا يربـى الفلـوّ مـع غنـائهم بأيـديهم

---

1 () (8/112) (127).

2 () (13/309) (242).

السباط، وألسنتهم السلاط»[1].

أيّ مدح أكبر من هذا للأنصار رضي اللـه تعالى عنهم؟ فالإمـام يخـبر بـأنهم هـم الـذين رعوا الإسلام وحافظوا عليه، حتى انتشر وقام للدين عموده!

8- وقـــال مـــرة: «وذهـــب المهـــاجرون الأولون بفضلهم»[2]، قال هـذا فـي كتـاب لـه إلى معاوية بن أبي سفيان.

9- وقال مرة عن الصحابة: «إنما اختلفنا عنه لا فيه»[3]، إن هذا معنـاه تسـويغ الخلاف بينه وبين إخوانه من الصحابة بعد وفـاة النـبي ص، فـالاختلاف لـم يكـن فـي الرسـول ص وحول أصول الإسلام، وإنما كان الاختلاف في أمور في فهمهم لبعـض النصـوص، وهـذا ممـا يـدلّ علـى أن الرجـل لا يكفـر إخـوانه ولا يفسقهم.

10- والآن سـأورد خطبـة أوردهـا شـارح النهج :

«فتولى أبو بكر تلك الأمور، فيسّر وسـدّد، وقـارب واقتصـد، وصـحبته مناصـحًا، وأطعتـه فيما أطاع الله فيه جاهدًا، وما طمعت - أن لو حدث له حادث وأنـا حـيّ؛ أن يـردّ إلـيّ الأمـر

---

1 () (20/184) (474).

2 () (15/117) (17).

3 () (20/225) (323).

48

الذي نازعته فيه- طمع مستيقن، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر، لظننت أنه لا يدفعها عنّي، فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه، فسمعنا وأطعنا وناصحنا»[1].

ثم قال: «وتولى عمر الأمر، فكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة...».

أي عاقل منصف أو قارئ محايد، لا يمكن إلا أن يقر بأن علي بن أبي طالب ا إنما يمدح هذين الخليفتين بهذا الكلام، حتى ولو كان هناك خلاف بينهم إن كان ثمة خلاف؛ فهذا الخلاف لم يؤثر على خلق عليّ ا ويجعله ينطق بالحق لأبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع.

هذا من حيث العموم، أما على وجه الخصوص في المدح فنقول:

1- مدح عمر بن الخطاب ا:

جاءت خطب كثيرة فيها مدح عمر تلميحًا، وسأذكر ما جاء فيه تصريح لهذا الخليفة الراشد ا.

أ- قال: «لله بلاد فلان، فلقد قوّم الأود، وداوى العمد، وأقام السنة، وخلّف الفتنة؛ ذهب نقيّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها.

---

1 () (6/94) وما بعدها.

أدّى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي»[1].

تأمل هذه الكلمات في حق هذا الخليفة الراشد الثاني: [أقام السنة]، [ذهب نقي الثوب، قليل العيب]، [أدى إلى الله طاعته]، هل يتناسب هذا الكلام مع ما يذكر حول هذا الخليفة من سبّ وشتم ولعن، وأنه غصب الخلافة عليًا؟

من نصدّق؟ الذي عاصر وعاشر وأدرك زمانهم، أم ذاك الذي تأخر عنهم فقام يفتري عليهم؟

ب- ومن كلام له ا، وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم:

«وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة، وستر العورة، والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون، حيّ لا يموت.

إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقَهم فتنكب؛ لا يكن للمسلمين كهف دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلًا مجربًا، واحفز معه أهل البلاء والنَصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرَى كنت ردءًا للناس،

---

1 () (12/3) (323).

50

ومثابة للمسلمين»[1].

هذا كلام عليّ لابن الخطاب ا، وأريدك أن تتأمل: [لا يكن للمسلمين كهف...]، [ليس بعدك مرجع...] [فإن أظهر الله... ومثابة للمسلمين....].

أرأيت كيف يكون الإنصاف وتمحيص النصح؟ وكيف أن الرجل قد قال كلمة حق في الخليفة الراشد الثاني ا؟ ولا أظن أن علي بن أبي طالب ا يداهن أو ينافق، أو يتخذ من التقيّة سبيلًا.

جـ- ومن كلام له ا، وقد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس بنفسه:

«إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعدّه وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدًا.

والعرب اليوم وإن كانوا قليلًا، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطبًا واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها،

---

1 () (8/296) (134).

حتى يكون ما تدع وراءك مـن العـورات، أهـمّ إليك مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظـروا إليـك غـدًا يقولـوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتمـوه اسـترحتم، فيكـون ذلـك أشـدَّ لكلبهـم عليـك وطمعهـم فيك»[1].

تأمـل أن هـذا كلام لـعمر بـن الخطـاب، الخليفة آنـذاك، وهـي كلمـات تـدلّ علـى ثقـة الخليفة، وعلى حب الإمـام لـه، وعلـى أهميـة هذا الخليفة في هذه الحرب!

د- وقال مرة أخرى: «ووليهم وال، فأقـام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه»[2].

وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب ا.

2- مع عثمان ا:

أ- قال في كتاب أرسله إلى معاوية :

«ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له، وأهـدى إلـى مقـاتله! أمـن بـذل لـه نصرته فاسـتقعده واسـتكفّه، أمّـن اسـتنصـره فتراخى عنه وبث المنون إليه، حتى أتى قدره عليه!

كلا والله لقد * [illegible]

---

1 () (9/95) (146).

2 () (20/218) (476).

52

□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□ & [الأحزاب:18][1]، فإذا كان عثمان ا فاسقًا أو مغتصبًا للخلافة، فكيف جاز للإمـام أن يـذود عـن فاسـق أو مغتصـب للخلافة؟ وهل يجوز أن ينصر الإمام عليّ أهل الزيغ والضلال والباطل؟

حاشاه ا، وإنمـا ينصـر الحـق وأهلـه، وقـد نسب قول للنبي صلى الله عليهم وآله وسلم بأن: «عليّ مع الحق والحق مع علـي»، فهـل نصرة هذا الإمام حق أم باطل؟

فإذا كان عليّ ا مع الحق ولا يفارقه، فهذه نصـرة للخليفـة، فهـو حـق، فلمـاذا لا تنصـر الشـيعة بالسـنتها مـن نصـره الإمـام علـيّ ا بسيفه؟ إما أن يكون الإمام فعـل فعلًا بـاطلًا، فلا يجـوز الاقتـداء بـه، وهـل يجـوز علـى المعصوم فعل الباطل؟ وإمـا أن الإمـام فعـل ما كان حقًا عليه وواجبًا ولم يخالف الشرع!

ب- وقال مرة لـعثمان ا عندما ثار النـاس عليه:

«إن الناس ورائي، وقد استسفروني بينك وبينهـم، ووالله مـا أدري مـا أقـول لـك! مـا أعـرف شـيئًا تجهلـه، ولا أدلـك علـى أمـر لا تعرفه!

إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شـيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشـيء فنبلّغكـه، وقـد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت

---

1 () (15/183).

رسـول اللـه ص كمـا صـحبنا، ومـا ابـن أبـي قحافـة ولا ابـن الخطـاب بـأولى بعمـل الخيـر منك، وأنت أقرب إلى رسول الله ص وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره مـا لـم ينـالا، فالله الله في نفسك! فإنك والله ما تبصّر من عمـى، ولا تعلّـم مـن جهـل، وإن الطـرق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة.

فاعلم أن أفضل عباد الله عنـد اللـه إمـام عـادل، هُـدي وهَـدى، فأقـام سـنّة معلومـة، وأمات بدعة مجهولـة، وإن السـنن لنيـرة لهـا أعلام، وإن البدع لظاهرة لهـا أعلام، وإن شـر الناس عنـد اللـه إمـام جـائر، ضَـلّ وضُـلّ بـه، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة!

وإنـي سـمعت رسـول اللـه ص يقـول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليـس معـه نصير ولا عاذر، فيلقى فـي نـار جهنـم، فيـدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرهـا». وإني أنشدك اللـه أن تكـون إمـام هـذه الأمـة المقتول! فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأمـة إمـام يفتـح عليهـا القتـل والقتـال إلـى يـوم القيامة، ويلبـس أمورهـا عليهـا، ويبـثّ الفتـن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجـون فيها موجًا، ويمرجـون فيهـا مرجًـا، فلا تكـونن لـمروان سيقة يسوقك حيـث شـاء بعـد جلال السنّ، وتقضّي العمر»[1].

ولنا أن نقف مع هـذا الخطـاب السياسـي

---

1 () (9/261) (165).

54

العظيم للإمام، الذي يخاطب بـه عثمـان أميـر المؤمنين:

انظر إلى هذه الكلمات الصادقة وتـدبرها، يقول: [ما أعرف شيئًا تجهلـه، ولا أدلـك علـى أمــر لا تعرفــه...]، أي: أن عثمــان وعليًــا ا يشتركان في العلم والمعرفة، وليس أحـدهما بأعلم مـن الآخـر، فـعليّ يخـبر أنـه لا يعـرف ويعلم شيئًا من أمور الدين لم يعرفها عثمان.

ثم اسـتمر فـي القـراءة: [إنـك لتعلـم مـا نعلم، ما سبقناك...]، تدبر هذه الكلمة، فـعليّ ا ينفي أن يكون قد استأثر بعلم من الرسـول ص لم يعرفه عثمـان، بـل إن عثمـان صـاحب ورأى وسمع وعلم، وليس كما يقـال: إن عليًـا استؤثر بعلم النبي ص.

ثم تأمل قـوله: [ومـا ابـن أبـي قحافـة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الخير منك...]، فهذا يعني أن الخلفاء قبله قد عملوا الخير في هذه الأمـة ولـم يجـاوزوه، وهمـا ليسـا بـأولى مـن الثــالث ي بعمــل الخيــر؛ لأن الخيــر ميســر ومتوافر في الزمن الأول.

[وأنت أقرب إلى رسول الله ص وشيجة رحم منهما، وقد نلت...] وهناك من يقول: إن رسول الله ص لم يـزوج بنـاته عثمـان، وإنمـا هاتان من بنات خديجة من رجل آخر، وها هــو الإمـام يـردّ علـى هـذه الفريـة بكـل وضـوح وصراحة؛ تصريحًا لا تلميحًا، فالرحم موصــولة بينه وبين النبي ص.

ثـم انظـر إلـى الفقـرة الأخيـرة: [وإنـي أنشـدك اللـه أن تكـون إمـام هـذه الأمـة المقتول...] فسمّاه علي ا إمامًا، ثم جعله بابًا من الأبواب إذا كسر تسارعت الفتـن وانثـالت على هذه الأمة، وقد كان ما قال!

فأقول لإخواننا: إن عليهم التريث والتفكير قبـل السـب والطعـن، فهـاهو الإمـام يوضـح منهاجه مـن هـؤلاء الصـحابة ومـن قيـل إنهـم اغتصبوا منه الخلافـة، فـالمتبع الصـادق الـذي يتبع إمامه في جميع أفعاله.

3- عائشة ل:

عائشة زوج النـبي ص برأهـا اللـه تعـالى، وسمّاها أمًا للمؤمنين، وكانت في زمن النـبي ص مـن أحـب أزواجـه إليـه، ولكـن البعـض هـداهم اللـه يطعنـون عليهـا، والبعـض يسـبها ويلعنها، ولو لم يكن لها إلا فضـيلة أنهـا زوجـة النـبي ص لكفتهـا، وكفـى برسـول اللـه ص صهرًا وزوجًا، ومع علو كعبها في هـذا الفضـل المبين، إلا أننا نرى مـن يسـبها أو يلعنهـا دون أن يراعي حرمة لرسول اللـه ص ولا لعرضـه ص، مع العلم بأن أفعـاله ص ليسـت كأفعـال البشر؛ فهو مـأمور مـن السـماء بهـذا الـزواج وغيـره، فكيـف يجـوز الطعـن بهـذا الـزواج، وتزويجه قد تم من قبل ربه تعالى؟!

ثم قبل أن تذهب بك المذاهب، وتروح بك الأهواء كل مذهب، التفت إلى كلام الإمام في شأنها:

أ- قـال علـي ا عـن السـيدة عائشـة، فـي أصحاب الجمل:

56

«خرجوا يجرون حرمة رسول الله ص كما تجـرّ الأمـة عنـد شـرائها، متـوجّهين بهـا إلـى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهمـا، وأبـرزا حبيس رسول الله ص لهما ولغيرهما»[1].

فسـماها علـيّ حرمـة رسـول اللـه ص، والحرمة المكان الذي يحرم الـدنو والاقـتراب منـه، وهـذا مـن فضـائلها أنهـا ظلـت حرمًـا للرسول ص حتى بعد وفـاته، والإمـام يتعامـل وفـق نصـوص الكتـاب والسـنة، ونقـول: إذا سـمّاها الإمـام حرمـة، فهـل يجـوز اسـتطالة اللسان فيها والتعـرّض لهـا، ونبزهـا والتشـفي منها!

ب- وذكرها مرة فقـال: «فمـن اسـتطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه علـى اللـه فليفعـل، وإن أطعتمـوني فـإني حـاملكم إن شـاء اللـه على سبيل الجنة، وإن كان ذا مشـقّة شـديدة ومذاقــة مريــرة، وأمــا فلانــة فأدركهــا رأي النساء، وضغن غلا في صدرها كمرجل القيـن، ولو دعيت لتنال مـن غيـري مـا أتـت إلـي لـم تفعـل، ولهـا بعـد حرمتهـا الأولـى، والحسـاب على الله»[2].

مــا معنــى حرمتهــا الأولــى؟ تــدبر هــذه الكلمة، لا أظن الإمام عنى إلا أنها زوج النــبي

---

1 () (9/308، 309).

2 () (9/189) (156).

ص وأنها أم للمؤمنين.

هل نحن بحاجة إلى مزيد بيان أو شـرح أو تفصـيل حـول هـذه القضـية الخطيـرة، الـتي ولغت فيها ألسن الكثيرين وقامت تخبط خبط عشـواء، وتنـال مـن أصـحاب النـبي ص ومـن عرضه وأهله دون وجه حق؟!

إن الحجة قائمة بكلام الإمـام ا، فمـن أراد أن ينــال حــبّ آل الــبيت، وحــب النــبي ص؛ فليسـتمع إلـى كلام الإمـام المعصـوم والـذي مدح فيه الصحابة، ولم يطعن على أحـد، ولـم تسمع منه كلمة سبّ أو شـتم أو تفسـيق لأي واحد منهم، مع قدرته على ذلك لو أراد.

58

المبحث الرابع
أهــل الشــام

انتهينا في الفصول السابقة إلى تبيان بعض الأمور المهمة التي أخذناها من في عليّ ا غضة طرية، وخلصنا إلى أن هذا الرجل كان يعلم من نفسه أنه ليس معصومًا، وأنه ليس هناك نص جلي في استخلافه، ولم يلعن أو يسبّ أحدًا من الصحابة بعامة، والخلفاء بخاصة، بل على العكس جاءت النصوص تزكية لهم ومدحًا لأفعالهم.

وسنعرض في هذا الفصل إلى كلامه حول أهل الشام.

يستند البعض في تكفير أهل الشام ومن قاتله بحديث: «يا علي ! سلمك سلمي وحربك حربي»، فلننظر إلى كلام هذا الرجل فيمن قاتله بالسيف!

1- قال الإمام عليّ يصف ما جرى:

«وكان بدء أمرنا أنا التقينا بالقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء، فقلنا: تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم، بإطفاء النائرة وتسكين العامة، حتى يشتد الأمر ويستجمع،

فنقوى على وضع الحق في مواضعه، فقـالوا: بل نداويه بالمكابرة، فأبوا حتى جنحت الحرب وركدت، ووقدت نيرانها وحمشت.

فلمـا ضرسـتنا وإيـاهم، ووضـعت مخالبهـا فينـا وفيهـم، أجـابوا عنـد ذلـك إلـى الـذي دعونـاهم إليـه، فأجبنـاهم إلـى مـا دعـوا، وسـارعناهم إلـى مـا طلبـوا، حـتى اسـتبانت عليهم الحجة، وانقطعت منهم المعذرة، فمـن تم على ذلك منهم، فهو الذي أنقـذه اللـه مـن الهلكة، ومن لجّ وتمادى، فهـو الراكـس الـذي ران اللـه علـى قلبـه، وصـارت دائـرة السـوء على رأسه»[1].

أ- انظر إلـى كلمـاته: [ربنـا واحـد]، [نبينـا واحد] [ودعوتنا في الإسلام واحدة]، بل انظـر إلـى: [لا نسـتزيدهم فـي الإيمـان بـالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا]؛ هل تشـتم فيه رائحـة تفسـيق أو تضـليل أو تكفيـر لأهـل الشام؟

ب- ثم انظر إلى: [ما اختلفنا فيـه مـن دم عثمـان]، فـالخلاف ليـس فـي أصـول الـدين، وإنما كان في قضية اجتهادية أو سياسية، كان كلّ ينظر فيها برأي، حتى في الفقرة الأخيـرة لا يدلّ على أنه كفّرهـم، بـل إنهـم لـم يـذعنوا إلى الحق الذي معه، فصاروا في المهلكة.

2- وهناك نص آخر في عدم تكفيرهم: «لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على

---

1 () (17/141) (58).

60

حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بـإذن اللـه، فلا تقتلـوا مـدبرًا، ولا تصـيبوا معـورًا، ولا تجهـزوا علـى جريـح، ولا تهيجـوا النسـاء بـأذى وإن شـتمن أعراضـكم، وسـببن أمراءكـم، فـإنهن ضـعيفات القـوى والأنفـس والعقـول، إن كنّـا لنـؤمر بـالكفّ عنهـنّ وإنهـنّ لمشـركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفَهر أو الهراوة، فيعيّر بها وعقبه من بعده»[1].

لـم يـأمرهم إلا بـالحق؛ بحيـث لا يجهـزوا على جريح، وانظر إلى قـوله: [إن كنّـا لنـؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهـنّ لمشـركات...] ممـا يـدل على أنه يميز بين أهل الشام وأهل الشرك.

3- ثم انظر إلى أشدّ مـن ذلـك، جـاء فـي شرح النهج :

«ومـن كلام لـه × وقـد سـمع قومًـا مـن أصـحابه يسـبّون أهـل الشـام أيـام حربهـم بـصفين: «إنّي أكره لكـم أن تكونـوا سـبّابين، ولكنكم لو وصـفتم أعمـالهم وذكرتـم حـالهم؛ كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكـان سـبّكم إيـاهم: اللهـم احقـن دماءنـا ودمـاءهم، وأصـلح ذات بيننـا، واهـدهم مـن ضـلالتهم، حـتى يعـرف الحـق مـن جهلـه، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»)[2].

هل يطبق هؤلاء ما قـاله علـيّ ا فـي أهـل

---

1 () (15/104) (14).

الشـــام، فلا يكونـــون ســـبّابين ولا لعّـــانين، ويحفظـــوا ألســـنتهم عـــن الولـــوغ بـــأعراض الصحابة ي.

4- وقال مرة أخرى:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنها خيـر ما تواصى به العباد، وخير عواقب الأمور عنـد الله، وقد فتح بـاب الحـرب بينكـم وبيـن أهـل القبلـة، ولا يحمـل هـذا العلـم إلا أهـل البصـر والصـبر، والعلـم بمواقـع الحـق، فامضـوا لمـا تـؤمرون بـه، وقفـوا عنـد مـا تنهـون عنـه، ولا تعجلوا في أمر حتى تتبينوا، فـإن لنـا مـع كـل أمر تنكرونه غيرًا»[1].

أ- ما معنى: [فتح باب الحرب بينكم وبيـن أهل القبلـة]؟ أو ليـس معنـاه: أننـا مسـلمون نتقاتل؟

ب- ثم تأمل: [ولا يحمل...]، فهـل تحـب أن تكون ممن عنـاهم الإمـام، فتكـف لسـانك وتعف فيك عن ذكر السوء؟

5- وقال مرة أخرى:

«ولكنّـا إنمـا أصـبحنا نقاتـل إخواننـا فـي الإســلام، علــى مــا دخــل فيــه مــن الزيــغ والاعوجاج، والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة يلمّ اللـه بهـا شـعثنا، ونتـدانى بهـا إلـى البقية فيمـا بيننـا، رغبنـا فيهـا، وأمسـكنا عمّـا

2() (11/21) (199).

1() (9/330) (174).

62

سواها»[1].

وهذا تأكيد لما سبق من أنـه قاتـل إخـوانه في الإسلام، ثم تأمل كيف حرص هـذا الرجـل علــى الوحــدة والتــآلف والجماعــة: [فــإذا طمعنا...]، فهل هناك مطعن أو مغمــز لرجــل بعد كلام هذا الرجل العظيم!

---

1 () (7/298) (121).

المبحث الخامس
أصحاب علي رضي الله عنه

بعـد أن استعرضـنا مواقـف علـي ا مـن الصـحابة وأهـل الشـام، ورأينـا كيـف مـدح الخلفـاء قبلـه، سـنتعرض إلـى كلامـه حـول أصـحابه، وكيـف كـان يـذمهم هـو بنفسـه، وكثيرون لا يرضـون بـذمّ أصـحاب علـي ا بـل يمدحونهم ويرفعـونهم، ولكنهـم فـي المقابـل يرمون أصحاب خير الخلـق محمـد ص، وتلـك هي قسمة ضيزى!

1- خطب مرة فيهم قائلاً:

«منيت بمن لا يطيع إذا أمـرت، ولا يجيـب إذا دعوت، لا أبا لكـم! مـا تنتظـرون بنصـركم ربّكم، أما دين يجمعكم، ولا حميّة تحمشكم؟!

أقوم فيكم مستصـرخًا، وأنـاديكم متغوّثًـا؛ فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعـون لـي أمـرًا، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثـأر، ولا يبلـغ بكـم مـرام، دعـوتكم إلى نصر إخوانكم، فجرجرتم جرجـرة الجمـل الأسرّ، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبـر، ثـم خـرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون»[1].

هؤلاء هـم أصـحاب هـذا الرجـل العظيـم.. عصيان وصمم عـن الأمـر، لا الـدين يجمعهـم،

---

1 () (2/300) (39).

64

ولا يدرك بهم أحد ثأره، ويتثاقلون عـن نصـرة الحق، قارن بين هؤلاء وبيـن كلام الإمـام عـن أصـحاب النـبي ص فـي القتـال والمنشـط والمكره!

2- ثم انظر كيف وصل بهـم الأمـر إلـى ادعاء الكذب علـى علـيّ ا: [أمـا بعـد يـا أهـل العراق! فإنما أنتـم كـالمرأة الحامـل، حملـت فلمّـا أتمـت أملطـت، ومـات قيّمهـا، وطـال تأيّمهـا، وورثهـا أبعـدها، أمـا واللـه مـا أتيتكـم إختيارًا، ولكن جئت إليكم سوقًا، ولقـد بلغنـي أنّكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله تعالى! فعلى مـن أكـذب؟ أعلـى اللـه، فأنـا أول مـن آمـن بـه؟ أم علـى نـبيه، فأنـا أول من صـدق به؟»[1].

ونقـول: أيرضـى القـوم بهـؤلاء بـديلًا عـن صـحابة محمـد ص، الـذين زكـاهم الكتـاب وطهرتهم السنة؟

ثم ماذا تقولـون إذا جـاء مـدَّعٍ يـدّعي بـأن عليًا كان مثل أصحابه، لأن الصـاحب لا يكـون إلا مثـل صـاحبه، فهـل نرضـى بهـذا القـول الفاسد؟

3- واشتدّ غضبه على أصحابه مرة فقال:

«ألا وإنـي قـد دعـوتكم إلـى قتـال هـؤلاء القوم ليلًا ونهارًا، وسرًا وإعلانًـا، وقلـت لكـم:

---

1 () (6/127) (70).

اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قـوم قـط فـي عقـر دارهـم إلا ذلـوا، فتـواكلتم وتخاذلتم، حتى شنّت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان»[1].

أيُّ قوم كان هـؤلاء القـوم، وقائـدهم هـذا البطل الباسل، هل يعني هذا أن الإمـام أساء في اختيار أصحابه؟ أم أنه أخطأ فـي الخـروج مـن المدينـة والتـوجه إلـى الكوفـة واتخاذهـا عاصمة له؟ أم أن هؤلاء نتاج تربية طويلة لـم يستطع أن يتغلب على مفرداتها؟

4- ثم يواصل توبيخه لهم:

«فهذا أخو غامد، قـد وردت خيلـه الأنبـار، وقـد قتـل حسـان بـن حسـان البكـري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقـد بلغنـي أن الرجـل منهـم كـان يـدخل علـى المـرأة المسـلمة والأخـرى المعاهـدة، فينـتزع حجلهـا وقُلُبهـا، وقلائدها ورعثها، ما تمتنع منـه إلا بالاسـترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلًا منهم كُلـم، ولا أريـق لهـم دم، فلـو أن امـرءًا مسلمًا مات مـن بعـد هـذا أسـفًا مـا كـان بـه ملومًا، بل كان به عندي جديرًا!»[2].

أيُّ ذلّ وهوان مُني به هؤلاء القوم؟ أهؤلاء ينصرون الدين، ويعـتز بهـم جنـد أو سـلطان؟ وفي المقابل انظر إلى أصحاب معاويـة كيـف

---

1 () (2/74) وما بعدها.

2 () (2/74) وما بعدها.

كـانت الفتوحـات والانتصـارات علـى أيـديهم، وكيف عمّ الإسلام المعمورة، وأيـن علـيّ مـن معاوية؟

5- ويستمر في حزنه وكمده وتوبيخه لهم: «فيـا عجبًـا! عجبًـا واللـه يميـت القلـب ويجلب الهمّ، مـن اجتمـاع هـؤلاء القـوم علـى بـاطلهم، وتفرقكـم عـن حقّكـم، فقبحًـا لكـم وترحًا حين صرتم غرضًـا يرمـى، يغـار عليكـم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصـى اللـه وترضون!

فإذا أمرتكم بالسير إليهـم فـي أيـام الحـرّ قلتم: هـذه حمـارّة القيـظ، أمهلنـا يسـبخ عنـا الحر، وإذا أمرتكم بالسـير إليهـم فـي الشـتاء قلتـم: هـذه صـبارّة القـرّ، أمهلنـا ينسـلخ عنـا البرد، كلّ هذا فرار من الحرّ والقرّ، فإذا كنتـم مـن الحـرّ والقـرّ تفـرون، فـأنتم واللـه مـن السيف أفرّ!»[1].

أرأيت كيف كان هـؤلاء القـوم؟ أيـن هـم مـن أصـحاب النـبي ص الـذين نصـروه صـيفًا وشتاءً، سرًا وعلانية، حـرًّا وبـردًا، وفـي جميـع أحايينه ص، فهـا هـو علـي يـذمّ هـؤلاء ويمـدح أولئك، فمن للحـق أقـرب: مـن يـذم أصـحاب النـبي ص ويمـدح هـؤلاء، أم مـن يـذمّ هـؤلاء ويمدح أولئك؟

1() (2/74) وما بعدها.

6- ثم يبلغ الرجل قمة الغضب والسخط على أصحابه، فيقوم يعيّرهم ويسبهم ويشتمهم، انظر إلى كلامه:

«يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم.. معرفة والله جرَّت ندمًا، وأعقبت سدمًا، قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيظًا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسًا، وأقدم فيها مقامًا مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرّفت على الستين! ولكن لا رأي لمن لا يطاع!»[1].

لنكاد نبكي مع الرجل هذه الحرقة الدامية، وهو ينشد هؤلاء نصرته ونصرة الحق والدين، ولكن هيهات.. ذهب أهل السبق بفضلهم، وأنى لهؤلاء هذا الفضل؟

7- وجاء في «النهج» بهذا العنوان (ومن كلام له × في ذم أصحابه):

[كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثياب المتداعية، كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر، كلما أطلّ عليكم منسر من

1() (2/74) وما بعدها.

مناسر أهل الشام، أغلق كل رجل منكم بـابه، وانجحر انجحار الضبّة في جحرها، والضبع في وجارها.

الذليل والله من نصرتموه، ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل.

إنكم والله لكثير في الباحات، قليـل تحـت الرايـات، وإنـي لعـالم بمـا يصـلحكم، ويقيـم أودكم، ولكني والله لا أرى إصـلاحكم بإفسـاد نفسي.

أضرع الله خدودكم، وأتعـس جـدودكم! لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلـون الباطل كإبطالكم الحق»[1].

هل رأيت ذمّا كهذا الذمّ؟! ثم هل سـمعت برجل خذله أصحابه كمـا خـذلوا هـذا الرجـل؟ فـإذا كـان هـؤلاء هـم الـذين كـانوا مـع علـيّ وعاصروه وعاشروه، فكيف نأمن منهم حقًا أو علمًا أو...!

ثم إذا كان هؤلاء الأوائـل، فمـا بالـك بمـن أتى بعدهم؛ فهل هم أحسن حالًا منهم؟

تأمـل أيهـا الأخ! وتـدبر هـذا الكلام، فـإنه كلام إمام منصف متّق لله تعالى.

8- وجاء أيضا في «النهج»:

(وقال × لما بلغه إغـارة أصـحاب معاويـة على الأنبار، فخـرج بنفسـه ماشـيًا حـتى أتـى

---

1 () (6/102) (68).

النخيلــة، وأدركــه النــاس وقــالوا: يــا أميــر المؤمنين! نحن نكفيكهم، فقال ×: «والله مـا تكفونني أنفسكم، فكيف تكفونني غيركـم! إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، فـإني اليوم أشكو حيف رعيتي، كأنّني المقـود وهـم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة»[1].

9- ثـم يقـول عـن تقاعسـهم عـن القتـال والجهاد:

«أيها الناس! إنـه لـم يـزل أمـري معكـم على ما أحبّ، حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك.

لقـد كنـت أمـس أميـرًا فأصـبحت اليـوم مـأمورًا، وكنـت أمـس ناهيًـا فأصـبحت اليـوم منهيًـا، وقـد أحببتـم البقـاء، وليـس لـي أن أحملكم على ما تكرهون!»[2].

انظـر إلـى كلامـه، وكيـف أصـبح ينصـاع لأمرهــم مــن كــثرة ضــجره وغضــبه علــى تقاعسهم!

10- ثم قـام الإمـام يقـارن بيـن الماضـين وبين هؤلاء، ويتحسر على فراق من سبقوه:

«ولــوددت أن اللــه فــرق بينــي وبينكــم، وألحقني بمن هو أحق بـي منكـم، قـوم واللـه ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بـالحق، متاريـك للبغـي، مضـوا قـدمًا علـى الطريقـة،

---

1 () (19/145) (267).

2 () (11/29) (201).

70

وأوجفــوا علــى المحجــة، فظفــروا بــالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة»[1] من هؤلاء الذين عناهم: [قوم ميامين]؟

وتأمل معي هذه المقارنة والمفارقات في الحكم عندما قال: «لقد رأيت أصحاب محمد، فما أرى أحدًا يشبههم منكـم، كـانوا يصـبحون شعثا غبرًا، وقد باتوا سجّدا وقيامًـا، يراوحـون بيـن جبـاههم وخـدودهم، ويقفـون علـى مثـل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعـزى مـن طـول سـجودهم، إذا ذكـر اللـه هملت أعينهم حتى تبلّ جيـوبهم، ومـادوا كمـا يميد الشجر يـوم الريـح العاصـف، خوفًـا مـن العقاب ورجاء للثواب»[2].

هــؤلاء هــم أصــحاب محمــد ص، قــام يتذكرهم عليّ عندما رأى هـذا التقـاعس غيـر المبرر عن الحق!

11- وخـاطبهم مـرة وقلبـه يحـترق أسـفًا وغمًّا:

«ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضـع الشجا من مساغ ريقه.

أمـا والـذي نفسـي بيـده، ليظهـرن هـؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بـالحق منكـم،

---

1 () (7/115) (276).

2 () (7/70) (96).

ولكن لإسراعهم إلى باطلهم، وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي.

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرًا وجهرًا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا.

شهود كغياب، وعبيد كأرباب، أتلو عليكم الحِكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثّكم على جهاد أهل البغي، فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرّقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحنيّة عجز المقوَّم وأعضل المقوَّم.

أيها القوم! الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلًا منهم!

يا أهل الكوفة ! منيت منكم بثلاث واثنتين، صمّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر.

72

واللـه لكـأني بكـم -فيمـا إخـالكم- أن لـو حمس الوغى، وحمي الضـراب، قـد انفرجتـم عن ابن أبي طالب انفراج المـرأة عـن قُبُلهـا، وإني لعلى بينة مـن ربـي، ومنهـاج مـن نـبيي، وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطًا»[1].

هل هذا كلام يحتاج إلى تعليـق وشـرح، أم أنه يشرح ما كان عليه الإمـام وصـحبه؟! أيـن هؤلاء من أصحاب النبي ص؟

12- ومن كلام له ا في ذمّ أصحابه:

«أحمد الله على ما قضى من أمـر، وقـدّر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة الـتي إذا أمرتُ لم تطع، وإذا دعوتُ لم تجب.

إن أهملتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع النـاس علـى إمـام طعنتـم، وإن أجئتـم إلى مشافة نكصتم.

لا أبـا لغيركـم! مـا تنتظـرون بنصـركم، والجهاد على حقكم!

الموت أو الذل لكم، فوالله لئن جاء يومي وليأتيّني، ليفرقن بيني وبينكم، وأنـا بصـحبتكم قالٍ، وبكم غير كثير.

للـه أنتـم، أمـا ديـنٍ يجمعكـم، ولا حميـة تشـحذكم، أوليـس عجبًـا أن معاويـة يـدعو الجفاة الطغام، فيتبعونه علـى غيـر معونـة ولا عطـاء، وأنـا أدعـوكم -وأنتـم تريكـة الإسـلام

---

1 () (7/70) (96).

وبقيّـة النـاس- إلـى المعونـة أو طائفـة مـن العطاء، فتتفرّقون عني وتختلفون عليَّ.

إنــه لا يخــرج إليكــم مــن أمــري رضــىً ترضــونه، ولا ســخط فتجتمعــون عليــه، وإن أحب ما أنا لاق إلي الموت.

قد درّستكم الكتـاب، وفـاتحتكم الحجـاج، وعرّفتكم ما أنكرتم، وسوغتم ما مججتـم، لـو كان الأعمى ينحط أو النائم يستيقظ!»[1].

13- وقال لهم مرة:

«أيها الناس المجتمعة أبـدانهم، المختلفـة أهــواؤهم، كلامكــم يــوهي الصــمّ الصــلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء.

تقولون في المجـالس كيـت وكيـت، فـإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد!

ما عـزّت دعـوة مـن دعـاكم، ولا اسـتراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضـاليل، دفـاع ذي الدَّين المطول.

لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحـق إلا بالجد.

أي دار بعد داركم تمنعـون، ومـع أيّ إمـام بعدي تقاتلون، المغرور واللــه مــن غررتمــوه، ومن فاز بكم فقد فاز واللهِ بالسـهم الأخيـب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت واللهِ لا أصدّق قـولكم، ولا أطمـع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم.

---

1 () (10/67) (181).

74

ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبّكم؟ القوم رجال أمثالكم.

أقولًا بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعًا في غير حق؟!»[1].

أأمثال هؤلاء يعتمد عليهم عليّ ا في حمل علم أو حديث أو أي شيء؟ ثم هل هؤلاء يعتز المرء بالانتماء إليهم؟ ويترك الذين زكاهم الله والرسول ثم عليّ؟

14- وقام مرة يستنفر أصحابه لقتال أهل الشام فقال:

«أفّ لكم، لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضًا، وبالذلّ من العز خلفًا، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة.

يرتج عليكم حواري فتعمهون، فكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عزّ يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كإبل ضلّ رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم! تُكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة

---

1 () (2/111) (29).

ساهون، غلب والله المتخاذلون!

وأيم الله! إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى، واستحرَّ الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس.

والله إن امرءًا يمكّن عدوه من نفسه، يعرق لحمه وينهش عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره.

أنت فكن ذاك إن شئت، فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

أيها الناس! إن لي عليكم حقًا، ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم؛ وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»[1].

هذه الخطب وغيرها كلها في ذمّ أصحابها، فهل يؤتمن هؤلاء الذين ذمّهم هذا القائد في إيصال علم، وفي حمل قرآن أو سنة، أم أولئك الذين مدحهم وتمنّى أن يكون معهم.

فمن أين يجب أن يؤخذ علم الدين: من الذين مدحوا أم من ذَمّوا؟ قليلًا من الإنصاف أيها القوم، وقليلًا من التفكر والتدبر، وما أريد

1() (2/189) (34).

76

إلا الإصلاح ما استطعت.

المبحث السادس
الكتاب والسنة

لهم مفهوم مخالف كل المخالفة للمفهوم الذي يحمله أهل السنة، فكتبهم القديمة تقر بتحريف الكتاب- القرآن- ونقصانه؛ منذ علي القمي والكليني، وكتبهم: تفسير القمي، والكافي، وبحار الأنوار، وغيرها، تنطق بهذا الكلام إلى يومنا الحالي.

ولهم أيضًا مفهوم يختصون به للسنة الشريفة، وينفون أن يكون حديث (تركت فيكم..) مقصودًا به السنة، وإنما هم العترة آل البيت.

ولنا أن نعرض كلام الإمام ونتفحصه حول الكتاب والسنة، لنرى كيف كان الإمام يتعامل مع هذين المصدرين.

* الكتاب العزيز

1- قال في إحدى خطبه:

«وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به»[1].

وصف يدلّ على إيمانه التام به، وأنه لا قرآن غيره، وأنه هو الدائم الذي لا يبدل ولا يحول.

2- وجاء في «النهج»:

---

1 () (1/288) (18).

78

ومـن كلام لـه × قـاله قبـل مـوته علـى سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

«وصـيتي لكـم ألا تشـركوا بـالله شـيئًا، ومحمّد ص؛ فلا تضـيّعوا سـنّته، أقيمـوا هـذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكـم ذمّ!»[1].

هــذا آخــر كلامــه ا، يوصــي أصــحابه والمؤمنين بثلاثة أشياء:

عدم الإشراك بـالله تعـالى، وعـدم تضـييع سـنّة النـبي ص، ويسـمي الكتـاب والسـنة العمـودين والمصـباحين، فلـم يـدَّع أن هنـاك قرآنًا آخر، ولـم يطلـب مـن الحضـور الاقتـداء بالأئمة الاثني عشر، وإنما حصر الهدي بهـذين المصـباحين، وهـو فـي مـرض مـوته يجـب أن يوصي بأهم الأشياء، فلم يوص إلا بهذين.

3- وقال ذات مرة:

«فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقـه، أخـذ عليـه ميثـاقهم، وارتهـن عليهـم أنفسـهم، أتـمّ نـوره، وأكـرم بـه دينـه، وقبـض نـبيه ص وقـد فـرغ إلـى الخلـق مـن أحكام الهدى به»[2].

تأمل هـذا الكلام العظيـم، مـات الرسـول ص بعد فراغ القرآن من جميع أحكام الإسلام،

---

1 () (15/143) (223).

2 () (10/115).

فـانقطع التشـريع بـه وتـمّ، فليـس أحـد بعـده مشرعًا وإنما مجتهدًا.

4- ووصف مرة القرآن بقوله:

«فإن الله سبحانه لم يعظ أحدًا بمثل هـذا القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأميـن، وفيه ربيع القلـب، وينـابيع العلـم، ومـا للقلـب جلاء غيره، مع أنه قد ذهب المتذكرون، وبقـي الناسـون أو المتناسـون، فـإذا رأيتـم خيـرًا فأعينوا عليـه، وإذا رأيتـم شـرًا فـاذهبوا عنـه، فإن رسول الله ص كـان يقـول: يـا ابـن آدم! اعمـل الخيـر ودع الشـر، فـإذا أنـت جـواد قاصد»[1].

وتأمل كلامه الآتي:

«واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الـذي لا يغـش، والهـادي الـذي لا يضـل، والمحـدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحـد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هـدى، أو نقصان من عمى.

واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقـة، ولا لأحـد قبـل القـرآن مـن غنـى، فاستشفوه من أدوائكـم، واسـتعينوا بـه علـى لأوائكم، فإن فيه شفاءً مـن أكـبر الـداء، وهـو الكفر والنفاق، والغي والضلال، فاسـألوا اللـه به، وتوجهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله.

---

1 () (10/31).

80

واعلموا أنه شافع مشفّع، وقائـل مصـدّق، وأنه من شفع لـه القـرآن يـوم القيامـة شـفّع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامـة صـدّق عليه؛ فإنه ينادي مناد يوم القيامـة: ألا إن كـل حارث مبتلـى فـي حرثـه وعاقبـة عملـه، غيـر حرثة القرآن.

فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه على ربكـم، واستنصـحوه علـى أنفسـكم، واتهمـوا عليه آرائكم، واستغشوا فيه أهواءكم»[1].

هل يمكن أن يصدر مثقال ذرة من قـول لهذا الإمام أو أحد أبنائه حول تحريـف القـرآن ونقصانه أو زيادته؟ أيعقل هذا؟ أمـا آن لنـا أن ننظـر إلـى تلـك الروايـات فنتـبرأ منهـا ومـن أهلها، ونعود إلى المنهـل الصـافي الـذي كـان يستقي منه عليّ ا وبنوه؟

5- وقال مـرة: «ولكـم علينـا بكتـاب اللـه تعــالى وســنة رســوله ص والقيــام بحقــه، والنعش لسنته»[2].

وأوصى أصحابه ذات مرة بقوله:

«وعليكم بكتاب الله، فإنه الحبـل المـتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والـري النـاقع، والعصمة للمتمسّك، والنجاة للمتعلّق، لا يعوجّ فيقـام، ولا يزيـغ فيسـتعتب، ولا يخلقـه كـثرة

---

1 () (10/18) (177).

2 () (9/259) (170).

الرد، وولوج السمع، من قال بـه صـدق، ومـن عمل به سبق»[1].

عليكم: الزموه وداوموا عليه.

إنهـا وصـية ثمينـة جـدًا، فهـل يعـي المعارضون ذلك؟

6- ومـن كلام لـه × فـي الخـوارج لمـا أنكروا تحكيم الرجال، ويذم فيـه أصحابه فـي التحكيم:

«إنّـا لـم نحكـم الرجـال، وإنمـا حكمنـا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مسطور بيـن الـدفتين، لا ينطـق بلسـان، ولا بـدّ لـه مـن ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال، ولمـا دعانـا القـوم إلـى أن نحكـم بيننـا القـرآن، لـم نكـن الفريق المتولّي عن كتـاب اللـه ـ، وقـد قـال الله تعالى عـزّ مـن قائـل: * &[النسا ء:59]، فـردّه إلـى اللـه أن نحكـم بكتـابه، وردّه إلـى الرسول أن نأخذ بسـنته، فـإذا حكـم بالصـدق في كتـاب اللـه، فنحـن أحـق النـاس بـه، وإن حكم بسنة رسول الله ص فنحن أحـق النـاس وأولاهم بها»[2].

فهـذا أمـر يـردّ الأمـور كلهـا إلـى الكتـاب والسنة فقط، إذًا: لا تحكيم للرجال أيّ رجال؛ لا يكون التحكيـم ولا التحـاكم إلا إلـى القـرآن

---

1 () (9/203) (156).

2 () (8/103) (125).

82

والسـنة، لأنهم ا مصـدرا التشـريع فقـط، فلـم يقل: إنني مشرع أو يحق لي التشريع، وأن ما فعلته حجة لا يجوز الخروج عليـه، وإنمـا كـان يستند إلى نصوص الكتاب والسـنة المطهـرة، ثم انظر إلى قوله ا: [فنحن أحـقّ..]، فهـو ا لا يرى نفسه في نفس مكانـة النـبي ص، وإنمـا هو مسلم يتحرى الاقتداء به ص.

7- وقال: «في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم»[1].

* السنّة النبوية:

هـذا كـان عـن الكتـاب، أمـا عـن السـنة، فإليك بعض أقواله ا:

1- من وصية له × لـعبد اللـه بـن عبـاس أيضًا، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج :

«لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمّـال ذو وجـوه، تقـول ويقولـون... ولكـن حـاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصًا»[2].

لماذا يحاججهم بالسنة؟ وما معنـى السـنة هنا في مقابل القرآن؟ أوليس معنـى هـذا أن الرجـل يعـدّ سـنة النـبي ص حـدًا فاصـلًا فـي الاحتكام؟ وأنها هي الـتي تزيـل الإبهـام عمـن يتشكك في القرآن.

2- وكتب مرة ناصحًا وموجهًا:

---

1 () (19/220) (319).

2 () (18/71) (77).

«فتـأسّ بنبيـك الأطيـب الأطهـر ص، فـإن فيـه أسـوة لمـن تأسـى، وعـزاء لمـن تعـزّى، وأحــب العبــاد إلــى اللــه المتأســي بنــبيه، والمقتصّ لأثره، قضم الدنيا قضمًا، ولم يعرها طرفًا، أهضم أهل الدنيا كشحًا، وأخمصهم من الـدنيا بطنًـا، عرضـت عليـه الـدنيا فـأبى أن يقبلهـا، وعلـم أن اللــه تعـالى أبغـض شـيئًا فأبغضـه، وحقـر شـيئًا فحقـره، وصـغّر شـيئًا فصغّره.

ولو لم يكـن فينـا إلا حبّنـا مـا أبغـض اللـه ورسـوله، وتعظيمنـا مـا صـغّر اللـه ورسـوله؛ لكفى به شقاقًا لله تعـالى، ومحـادّة عـن أمـر الله تعالى! ولقد كـان ص يأكـل علـى الأرض، ويجلـس جلسـة العبـد، ويخصـف بيـده نعلـه، ويرقـع بيـده ثـوبه، ويركـب الحمـار العـاري، ويردف خلفه، ويكون الستر علـى بـاب بيتـه، فتكون فيه التصاوير فيقول: يـا فلانـة -إحـدى أزواجـه- غيّـبيه عنّـي، فـإني إذا نظـرت إليـه ذكـرت الـدنيا وزخارفهـا، فـأعرض عـن الـدنيا بقلبـه، وأمـات ذكرهـا مـن نفسـه، وأحـب أن تغيب زينتها عن عينيه، لكيلا يتخذ منها رياشًـا، ولا يعتقــدها قــرارًا، ولا يرجــو فيهــا مقامًــا، فأخرجها من النفس، وأشخصـها عـن القلـب، وغيّبها عن البصر»[1].

إنهــا وصــية للحفــاظ علــى الســنة

---

1 () (9/232).

والمحافظة عليها، والاقتداء بالنبي ص فقط، لا ينازعه أحد في هذا الاقتداء!

3- وسأورد لك كتابه ا للأشتر النخعي، وأرجو منك أن تتدبر كلماته، وتنزلها منازلها، وتضعها في حق موضعها؛ فإنه كان هو الحاكم آنذاك، وكان الأمير على جميع الأمصار.

«ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية.

ولا تحدثن سنّه تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك مما نقضت منها، وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك..

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضمّن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصّرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرًا، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيمًا، واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم: * [illegible] & [النساء:59]، فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى

الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدّمك، من حكومة عادلة، أو سنّة فاضلة، أو أثر عن نبينا ص، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مّما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها»[1].

ما يؤخذ من الكتاب :

أ- لا تنقضن... السنة معناها: الطريقة، فهو يوصي عامله أن لا ينقض سنة صالحة عمل بها الخلفاء قبله، فلا يجوز الخروج على هذه السنن التي عملها الخلفاء آنذاك.

ب- لم يقل الإمام: إن أولي الأمر هم العترة، مع استدلاله بالآية وحاجته إليها.

جـ- رد الأمر إلى مصدرين اثنين فقط: الكتاب والسنة.

د- في الفقرة الأخيرة ربط بين أفعال الخلفاء السابقين، وتواصل بينه وبينهم: [مما عملنا به فيها..].

1() (17/47) وما بعدها.

86

المبحث السابع
الدعـــــــاء

الـدعاء عبـادة لا يجـوز صـرفها لغيـر اللـه تعـالى، ولا يجـوز التوسـل فـي الـدعاء بغيـر المشـروع، ولا الـذهاب إلـى القبـور للـدعاء عندها والتبرك بها، ومن المعلوم أن هناك من يقصـدون قبـور الأئمـة للـدعاء عنـدها، ودعـاء هؤلاء الأئمة لكشـف الضـر وإغاثـة الملهـوف، وتحقيق الحاجات وغيرهـا، وهـذه مـن الأمـور التي خالف فيها الشـيعة أئمـة أهـل الـبيت ‡، وإليك البيان:

1- قال الإمام:

«إذا كـانت لـك إلـى اللـه سـبحانه حاجـة، فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله ص، ثم سل حاجتك، فإن الله أكرم من أن يسأل حـاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى»[1].

يشير الإمام علي لمن كانت له حاجـة، أن يبدأ بالصـلاة علـى النـبي ص، ولـم يـأمر هـذا بالـذهاب إلـى قـبر النـبي ص أو قبـور الأنبيـاء والأولياء.

2- وقال مرة للإمام الحسن ا في وصيته:

«واعلم أن الـذي بيـده خزائـن السـموات والأرض قد أذن لـك فـي الـدعاء، وتكفّـل لـك

---

1 () (19/279) (367).

بالإجابـــة، وأمـــرك أن تســـأله ليعطيـــك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينه وبينك من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه.

ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يفضحك إن تعرّضت للفضيحة، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريرة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرًا، وفتح لك باب المتاب، وباب الاستعتاب، فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيرُه؛ من طول الأعمار، وصحة الأبدان، وسعة الأرزاق»[1].

انظر كلامه: [ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع إليك فيه..]، ما معنى هذا الكلام؟ أليس معناه طرح الواسطة بينك وبين الله في المسألة؟

ثم انظر إلى: [أذن ذلك...]؛ فالله أمر الناس بسؤاله، ولم يجعل بينه وبين السائل أية واسطة.

3- ودعا مرة في الاستسقاء فقال:

---

1 () (16/89).

88

«اللهم قـد انصـاحت جبالنـا، واغـبرّت أرضـنا، وهامت دوابّنا، وتحيرت في مرابضها، وعجّـت عجيج الثكالى على أولادها، وملّت الـتردد في مراتعها، والحنين إلى مواردها!

اللهم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة.

اللهم فارحم حيرتها فـي مـذاهبها، وأنينهـا في موالجها.

اللهـم خرجنـا إليـك حيـن اعتكـرت علينـا حدابير السنين، واختلفتنا مخايل الجود، فكنت الرجاء للمبتئس، والبلاغ للملتمس.

نـدعوك حيـن قنـط الأنـام، ومنـع الغمـام، وهلك السّوام، ألا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تؤاخذنا بـذنوبنا، وانشـر علينـا رحمتـك بالسـحاب المنبعـق، والربيـع المغـدق، والنّبـات المونـق، سحًّا وابلًا، تحيي به ما قد مات، وترد به ما قد فات.

اللهم سقيا منك محيية مروية، تامّة عامّة، طيبة مباركة، هنيئة مريئة مريعة، زاكيًـا نبتهـا، ثامرًا فرعها، ناضرًا ورقها، تنعش بها الضعيف من عبادك، وتحيي بها الميت من بلادك.

اللهم سقيا منك تعشب بها بجادنا، وتجري بهـا وهادنـا، ويخصـب بهـا جنابنـا، وتقبـل بهـا ثمارنـا، وتعيـش بهـا مواشـينا، وتنـدى بهـا أقاصينا، وتستعين بهـا ضـواحينا، مـن بركاتـك الواسـعة، وعطايـاك الجزيلـة، علـى بريّتـك المرملة، ووحشك المهملة، وأنزل علينا سماء

مخضـلة، مـدرارًا هاطلـة، يـدافع الـودق منهـا الودق، ويحفز القطر منها القطـر، غيـر خلّـب برقهـا، ولا جهـام عارضـها، ولا قـزع ربابهـا، وشـفّان ذهابهـا، حـتى يخصـب لإمراعهـا المجـدبون، ويحيـا ببركتهـا المسـنتون، فإنّـك تنـزل الغيـث مـن بعـد مـا قنطـوا، وتنشـر رحمتك، وأنت الولي الحميد»[1].

هذه خطبـة فـي الاستسـقاء، وليـس فيهـا ذكر للتوسل والاستشفاع وسؤال المخلوقين!

4- وفي خطبة له قال:

«إن أفضل ما توسّل بـه المتوسّـلون إلـى الله الإيمان به وبرسوله، والجهاد فـي سـبيله، فـإنه ذروة الإسـلام، وكلمـة الإخلاص فإنهـا الفطـرة، وإقـام الصـلاة فإنهـا الملـة، وإيتـاء الزكـاة فإنهـا فريضـة واجبـة، وصـوم شـهر رمضان فـإنه جنّـة مـن العقـاب، وحـج الـبيت واعتمـاره فإنهمـا ينفيـان الفقـر ويرحضـان الذنب، وصلة الرحم فإنها مـثراة فـي المـال، ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فإنهـا تكفّـر الخطيئـة، وصـدقة العلانيـة فإنهـا تـدفع ميتـة السوء، وصنائع المعروف فإنهـا تقـي مصـارع الهوان.

أفيضوا في ذكر اللـه فـإنه أحسـن الـذكر، وارغبوا فيما وعد المتقين فـإن وعـده أصـدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدي، واستنّوا بسـنّته فإنهـا أهـدى السـنن، وتعلمـوا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه

---

1 () (7/262) (114).

90

ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص، وإن العالم العامل بغير علمه، كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم»[1].

انظر إلى ما يقوله الإمام: [أفضل ما توسل به المتوسلون...] ونقول: حتى على فرض جواز التوسل بالأشخاص، أفلا يحرص المؤمن على الكمال، فيطبق في دعائه الأصوب والأفضل والأكمل؟

وهذه من الخطب الشاملة التي أمر فيها ا بالإيمان والجهاد والصلاة والزكاة، ولم يذكر الخمس!

وذكر سنّة المصطفى ص فقط لا يش اركه فيها أحد!

5- وفي كلام له يقول عن ربنا سبحانه:

«فاستفتحوه واستنجدوه، واطلبوا إليه واستمنحوه، فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب»[2]، هل نحتاج إلى تعليق؟!

---

1 () (7/221) (109).

2 () (10/170) (188).

المبحث الثامن
العبـــــادات

خالف القوم فـي بعـض قضـايا العبـادات، مثـل الأضـحية فـي العيـد، والصـلاة وميقاتهـا، والزكاة، ونحن نعرض أقوال الإمام فـي شـأن هذه الأمور:

1- فمن خطبه في ذكر يوم النحـر وصـفة الأضحية:

«ومـن تمـام الأضـحية استشـراف أذنهـا، وسـلامة عينهـا، فـإذا سـلمت الأذن والعيـن سـلمت الأضـحية وتمّـت، ولـو كـانت عضـباء القرن تجرّ رجلها إلى المنسك»[1].

فالكلام عن أضحية يوم النحر، والـتي فـي الحج لا تسمّى أضحية، وإنما تسمّى هديًا.

2- الصلاة:

للصلاة عندهم ثلاثة أوقات، يجمعـون فـي وقتين صلاتين، ولكن لننظـر إلـى كلام الإمـام في هذا الشأن: فمـن كتـاب لـه ا إلـى أمـراء البلاد في معنى الصلاة:

«أما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيـء الشمس مثل مربض العنز، وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان، وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم، ويدفع الحاج إلى منـى، وصـلوا

---

1 () (4/3).

92

بهم العشـاء حيـن يتـوارى الشـفق إلـى ثلـث الليل، وصلوا بهم الغداة والرجل يعـرف وجـه صاحبه، وصلوا بهم صلاة أضعفهم، ولا تكونـوا فتّانين»[1].

هذا كتاب مهم جدًا، لأنـه بعثـه إلـى جميـع الأمصـار الـتي تحـت يـده، ومـن هنـا نتـبين أهميته، وتكمن أهميته الأخرى في أنـه أوضـح قضية من أهم العبادات في الإسلام: الصلاة.

فيقول:

أ- صلاة الظهـر بعـد الـزوال، ثـم أخـبر أن صلاة العصر والشـمس بيضـاء قبـل أن تـزول إلى الشفق، ولو كانت الصلاة جمعًا لما أوضح الوقتين، ولكن لاختلاف في الوقتين أوضح كل وقت لكل صلاة.

ب- ثم صلاة المغرب: [حين يفطر الصائم ويـدفع الحـاج إلـى منـى]، وهـذان الأمـران يكونان عنـد غـروب الشـمس، ثـم حـدد وقتًـا لصلاة العشاء بعد صلاة المغرب، فكان وقـت صلاة المغرب من الغروب إلى مـا قبـل زوال الشفق الأحمر، ثم يـدخل وقـت العشـاء إلـى ثلـث الليـل، وهـذه كـانت السـنة فـي عهـد الصحابة رضوان الله عليهـم، ثـم هنـا يحـرص علـى صـلاة الجماعـة؛ بوجـود إمـام وجماعـة مأمومين.

جـ- هـذا كتـاب أميـر المـؤمنين، وحـاكم

---

1 () (17/22) (52).

الدولة الإسلامية، يرسله إلى جميع الأمصار التي كانت تحت يده، فلا يجوز أن يتعبد الناس بغير الحق، وبما فيه ما يخالف الكتاب والسنة.

ولا نريد الاستفاضة في القضايا الفقهية واختلاف الفقهاء حول هذه الأمور، ولكن ما يهمنا أن عليًّا ا حدد خمسة أوقات للصلاة.

وفي كتاب له للحارث المداني يذكر فيه يوم الجمعة:

«ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة، إلا فاصلًا في سبيل الله، أو في أمر تعذر به، وأطع الله في جمل أمورك، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها، وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلا ما كان مكتوبًا عليك من الفريضة، فإنه لا بد من قضائها، وتعاهدها عند محلّها»[1].

هذا بعض ما جاء في قضية الصلاة وأوقاتها، وأهمية يوم الجمعة.

3- الزكاة:

يؤخذُ لآل البيت الخمس، وتهمل عندهم الزكاة على أموالهم، مع أن الأمر جاء بالزكاة مرات عديدة، ولنر ماذا يقول صاحب «النهج»:

أ- من وصية له ا كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات:

---

1 () (18/42) (96).

94

«انطلق على تقوى اللـه وحـده لا شـريك له، ولا تروّعنّ مسلمًا، ولا تجتازنّ عليه كارهًا، ولا تأخذنّ منه أكثر مـن حـق اللـه فـي مـاله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غيـر أن تخالط أبياتهم، ثـم امـض إليهـم بالسـكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلّم عليهم.

ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله! أرسلني لكم وليّ اللـه وخليفتـه، لآخـذ منكـم حق الله في أموالكم، فهل للـه فـي أمـوالكم من حق فتؤدوه إلى وليه!

فإن قال قائـل: لا، فلا تراجعـه، وإن أنعـم لك منعم فانطلق معـه مـن غيـر أن تخيفـه أو توعده، أو تعسفه أو ترهقه، فخـذ مـا أعطـاك من ذهب أو فضة، فإن كان له ماشـية أو إبـل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتهـا فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به.

ولا تنفّرن بهيمـة ولا تفزعنّهـا، ولا تسـوءن صاحبها فيها.

واصدع المال صدعين ثم خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختـاره، فلا تـزال كـذلك حـتى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله في ماله، فـاقبض حقّ الله منه»[1].

وهذا الكتاب كله في الزكـاة الـتي تسـمّى الصدقات، وليس هناك أي ذكر للخمس!

---

1 () (15/151) (25).

ب- وقال ذات مرة في زكاة الدّيْن:

«إن الرجل إذا كـان الـدين الظنـون -هـل يقضى أم لا؟- يجب عليه أن يزكّيه لمـا مضـى إذا قبضه»[1].

لـم يقـل الإمـام: (ليخمّسـه)، أو ليخـرج (خمسه)، وإنمـا قـال: ليزكيـه، وهـي اللفظـة التي كانت معروفة لديه، وهـي لفظـة قرآنيـة نبوية شرعية، تنصرف إلى الزكاة فقط.

جـ- وقال مرة:

«سوســوا إيمــانكم بالصــدقة، وحصّــنوا أمــوالكم بالزكــاة، وادفعــوا أمــواج البلاء بالدعاء»[2].

وحـتى لا أطيـل عليـك فـي هـذه القضـية، ارجع أيضًا إلى كلامه في «النهـج» (10/302) (192)، ففيهــا تعاهــد بالصــلاة والمحافظــة عليها، والأمر بإيتاء الزكاة.

---

1 () (19/112) (263).

2 () (18/345) (142).

96

متفرقات وشوارد

هـذا الفصـل الأخيـر مـن هـذا المؤلـف، وسيكون شوارد ومتفرقـات؛ لأنهـا ليـس فيهـا ناظم ينظمها:

1- انقطاع خبر السماء بموت النبي ص:

نعتقـد أن رسـل اللـه المبلغـة للرسـالة والنبوة، انقطع نزولها إلى الأرض للتبليـغ بعـد وفـاة النـبي ص، ولكـن القـوم أو كـثير منهـم يعتقـدون بنـزول جبريـل بعـد وفـاة النـبي ص مواساة للزهراء أو لـعليّ ا، ولكـن هـذا عليّ صاحب الشأن يخبر عن النبي ص: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لـم ينقطع بموت غيرك من النبوة والإنبـاء وأخبـار السماء، خصّصـت حـتى صـرت مسـلّيًا عمـن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سـواء، ولولا أنك أمرت بالصـبر، ونهيـت عـن الجـزع، لأنفـدنا عليـك مـاء الشـئون، ولكـان الـداء مماطلًا، والكمد محالفًا، وقلاّ لك! ولكنه مـا لا يملك ردّه، ولا يستطاع دفعه!

بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربـك، واجعلنـا من بالك!»[1].

في هذه الخطبة أو الكلمات أمور عظيمـة جدًا، منها:

---

1 () (13/24) (230).

أ- إخبار عليّ بأن أخبار السماء والملائكة المرسلة انقطعت، فلا تنزل أبدًا.

ب- والأمر الثاني هو الجزع على المصيبة، ولهذا مبحث قادم سنذكره لاحقًا.

2- الجزع:

يظن هؤلاء أنهم يحسنون إلى الأئمة وهم يلطمون ويشقّون الجيوب، ويضربون بالسلاسل وغيرها، مشاركة في مصاب الحسين ا، وهاهو علي يخبرنا بعدم جواز هذا كله، حتى على أفضل الخلق محمد ص.

أ- ويقول مرة: «ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره»[1].

من يضرب على فخذه فقط يحبط أجره، فكيف نصرف هذا الكلام على الذين يفعلون ما يغضب الله ورسوله في محرّم، من ضرب القامات، وشق الجيوب، والضرب بالسيوف... وغيرها من المنكرات؟

ب- وقال مرة:

«من أصبح على الدنيا حزينًا، فقد أصبح لقضاء الله ساخطًا.

ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به، فإنما يشكو ربه.

ومن أتى غنيًا فتواضع له لغناه، ذهب ثلثا دينه.

---

1 () (18/342) (140).

98

ومن قرأ القرآن فمات فـدخل النـار، فهـو كان ممّن يتخذ آيات الله هزوًا.

ومن لهـج قلبـه بحـبّ الـدنيا، التـاط منهـا بثلاث: همّ لا يغبّه، وحـرص لا يـتركه، وأمـل لا يدركه»[1].

مــاذا يفعلــون فــي عاشــوراء، أوليســوا يشاركون مصيبة نزلت قبـل أكـثر مـن 1300 سنة؟

فهل معنى هذا أنهم يشكون ربهم حزنهـم على مصاب الحسين؟!

جـ- ثم اقرأ ما جاء في «النهـج»: (وروي أنه × لما ورد الكوفة قادمًـا مـن صـفين، مـرّ بالشباميّين، فسـمع بكـاء النسـاء علـى قتلـى صــفين، وخــرج إليــه حــرب بــن شــرحبيل الشبامي، وكان مـن وجـوه قـومه، فقـال لـه: «أيغلبكم نساؤكم على ما أسـمع، ألا تنهـوهنّ عن هذا الرنين!».

وأقبل حرب يمشـي معـه وهـو × راكـب، فقال له: «ارجع! فإن مشي مثلـك مـع مثلـي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن»[2].

وكان هذا بكاء طبيعيًا، ويعـبر عـن حـرارة الموقف وجدّته، ونهى عنه الإمام، فمـاذا عـن الآخرين؟

---

1 () (19/52) (24).

2 () (19/234) (328).

3- نور الأنبياء:

هـــم يعتقـــدون بـــأن الأنبيـــاء والأوليـــاء والأوصياء مخلوقـون مـن نـور، وليسـوا بشـرًا كسـائر البشـر، ولكـن عليًـا يقـول: «ولـو أراد اللـه أن يخلـق آدم مـن نـور يخطـف الأبصـار ضـياؤه، ويبهـر العقـول رواؤه، وطيـب يأخـذ الأنفاس عرفـه؛ لفعـل، ولـو فعـل لظلّـت لـه الأعنـاق خاضـعة، ولخفّـت البلـوى فيـه علـى الملائكة، ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزًا بالاختبـار لهـم، ونفيًـا للاســتكبار عنهــم، وإبعــادًا للخيلاء منهــم، فاعتبروا بما كـان عـن فعـل اللـه بـإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قـد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُـدرى أمـن سـنيّ الدنيا أم مـن سـنيّ الآخـرة، عـن كـبر سـاعة واحدة، فمن ذا بعد إبليـس، يسـلم علـى اللـه بمثل معصيته؟!

كلا، مـا كـان اللـه سـبحانه ليـدخل الجنـة بشرًا بأمر أخرج به منها ملكًا، إن حكمـه فـي أهل السماء والأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة فـي إباحـة حمـى حرّمـه على العالمين»[1].

4- أمان أهل الأرض:

جاء في «النهج»:

وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر

---

1 () (13/) (238) 131.

100

إ أنه كان × قال:

«كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رفع أحدهما، فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله ص، وأما الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله تعالى: * [illegible] & [الأنفال:33]»(1).

5- أولى الناس بالأنبياء:

«إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به، ثم تلا ×: * [illegible] & [آل عمران:68].

ثم قال ×: إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته»(2).

6- المداهنة:

هناك من يظن بأن الإمام كان يداهن، ويستخدم التقيّة؛ ولكن عليًا نفى هذا نفيًا قاطعًا، فيقول لأصحابه: «فاستدركوا بقية أيامكم، واصبروا لها أنفسكم، فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة، والتشاغل عن الموعظة، ولا ترخصوا لأنفسكم؛ فتذهب بكم الرخص مذاهب

---

1 () (18/240) ((85).

2 () (18/252) ((92).

الظلمة، ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدمـان علـى المعصية.

عباد الله: إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربــه، وإن أغشّــهم لنفســه أعصــاهم لربــه، والمغبون من غبن نفسه، والمغبوط من سلم له دينه، والسعيد مـن وعـظ بغيـره، والشـقي من انخدع لهواه وغروره»[1].

أوتراه يقول شيئًا ويخالفه؟ حاشاه ا.

7- عمال علي :

يتهم البعض الخلفاء الثلاثـة، نتيجـة لاتهـام ولاتهم وعمّالهم على المناطق، وعند قراءتــي للنهج رأيت عليًا يطعن فـي كـثير مـن عمّ اله، وسنورد بعضًا من هذه الطعون هنا:

أ- فمثلًا جاء في «نهج البلاغة» ما نصّه:

ومـن كتـاب لـه × إلـى كميـل بـن زيـاد النخعي وهو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفـع مـن يجتـاز بـه مـن جيـش العـدوّ طالبًـا للغارة: «أما بعد: فإن تضييع المـرء مـا ولّـي، وتكلّفه ما كُفي؛ لعجزٌ حاضر، ورأي متبر، وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا، وتعطيلـك مصالحك التي ولّيناك -ليس لها ما يمنعهـا، ولا يردّ الجيـش عنهـا- لـرأي شـعاع؛ فقـد صـرت جسـرًا لمـن أراد الغـارة مـن أعـدائك علـى أوليائــك، غيــر شــديد المنكــب، ولا مهيــب الجانب، ولا سادّ ثغرة، ولا كاسر لعدو شـوكة،

---

1 () (6/353) (85).

102

ولا مغـن عـن أهـل مِصـرِه، ولا مجـز عـن أميرِه»)[1].

فهذا طعن لوال من ولاته بلسانه هو!

ب- وذات مرة بنى رجل من عماله بناء فخمًا فقال ×: «أطلعت الورق رءوسها، إن البناء يصف لك الغنى»)[2].

(روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين × اشترى على عهده دارًا بثمانين دينارًا، فبلغه ذلك فاستدعى شريحًا، وقال له: «بلغني أنّك ابتعت دارًا بثمانين دينارًا، وكتبت لها كتابًا، وأشهدت فيه شهودًا، فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فنظر إليه نظر المغضب، ثم قال له:

يا شريح ! أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيّنتك، حتى يخرجك منها شاخصًا، ويسلمك إلى قبرك خالصًا، فانظر يا شريح ! لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة.

أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت، لكتبت لك كتابًا على هذه النسخة، فلم ترغب في شراء هذه الدار بالدرهم فما فوق، والنسخة هذه.

---

1 () (17/149) (61).

2 () (19/271) (361).

هذا ما اشترى عبد ذليـل، مـن ميـت قـد أزعــج للرحيــل، اشــترى منــه دارًا مــن دار الغرور، من جانب الفـانين، وخطّـة الهـالكين، وتجمـع هـذه الـدار حـدود أربعـة: الحـد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات، والحد الثاني ينتهـي إلى دواعـي المصـيبات، والحـد الثـالث ينتهـي إلى الهوى المردي، والحـد الرابـع ينتهـي إلـى الشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار، اشترى هذا المغترّ بالأمل، من هذا»[1].

إن عمـاله ا كعمّـال غيـره، فيهـم الأعلـى والأوسـط والأدنـى، وهكـذا البشـر يتفـاوتون، فقوي في العبادة ضعيف في الإدارة، ضــعيف فــي الإدارة قــوي فــي الحــرب، ضــعيف فــي العبادة قـوي فـي القتـال... وهكـذا، فلا عيـب على عليّ ولا غير عليّ إن كان هناك ضعف أو خور، ولكن نقـول: إن مـا يـوجه إلـى الخلفـاء من طعن فـي هـذا الجـانب، فـإن لـ عليّ منـه نصيبًا مفروضًا.

---

1 () (1/404) (3).

104

الخاتمة

وبعد؛ فقد صدق الإمام عندما قال: «هلك فيّ رجلان: محبّ غال، ومبغض قال»[1].

فالمحب الغالي لن يرى كل شيء إلا حسنًا، والمبغض القالي لن يرى الشيء إلا سيئًا، والوسطية مطلوبة، فـ«حبّ عليّ من الإيمان، وبغضه من النفاق» كما صحّ في حديث مسلم، فلا نرفعه إلى درجة الأنبياء، ولا ننزله إلى درجة الفسّاق وغيرهم، بل هو صحابي جليل، وإمام من أئمة المسلمين، وهو رابع أفضل الصحابة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وحاز فضلًا لم يحزه سواه: تزويجه فاطمة بنت النبي ص وكفى به فضلًا، وكفى به صحبة وصهرًا، فهي سيدة نساء العالمين، وابنة خير خلق الله أجمعين.

نحبه ونترضّى عليه، وعلى أصحابه وأبنائه، ونحارب ونبغض من يغلو فيه أو يقلوه.

وفقنا الله لكلّ خير، هذا جهدي وقد اجتهدت، فإن وجدت خيرًا أيها القارئ فلا تنسنا من دعاء بليل، وإن كان خطأ فاستغفر الله، وأرجو منك أن تسأل الله لي المغفرة، لأنني ما تعمّدت الخطأ، وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

---

1 () (18/282) (113).

فهرس المحتويات

تصــدير.....3
المقدمة.....5
المبحث الأول الإمـــامـــــة.....8
المبحث الثاني العصـمـــــــة....19
المبحث الثالث الصحــابـــــة...40
المبحث الرابع أهــل الشـــام....58
المبحــث الخــامس أصــحاب علــي
رضي الله عنه.....63
المبحث السادس الكتاب والسنة 77
المبحث السابع الدعـــــــاء...86
المبحث الثامن العبـــــادات....91
متفرقات وشوارد.....96
الخاتمة.....104
فهرس المحتويات.....105

* * *